
عبر الزمن 3
د. تامر إبراهيم
الذي عاد
www.alkottob.com



د.تامر إبراهيم

الذي عاد

من هو (بيتر بيشوب) ؟
ما الذي فعله، وما الذي حدث له،
وما الذي سيفعله ؟
أعتقد أنه من وسط كل الأسئلة
التي تعصف بملجأ القلب المقدس،
ستظل هذه الأسئلة هي الأهم
والأكثر خطورة ..
و اليوم سنعرف إجابتها ..





دار ليلى - دايموند بوك

العدد القادم: أشياء في ألكاتراز

الثمن في مصر 300
و ما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية و العالم

مقـدمة .

حياتي ليست كحياتك، أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي أوراق متناثرة في عصور مختلفة، و في كل ورقة قصة، تنتظر أن أحكيها لك..

قصة حدثت و لم يذكرها التاريخ لك كاملة، لذا سأقدمها لك كاملة بكل ما تحويه من أهوال..

قصة تحمل رائحة الرعب و مذاقه..

حياتي ليست كحياتك، أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي لحظات تمضي بين هذه القصص، و هذا قدري الذي لم أختره، و لا أعرف له بديلاً..

و اليوم، سأحكي لك واحدة من هذه القصص التي رأيتها وعشتها..

عبر الزمن..

د . تامر ابراهيم

ملخص ما سبق

مرة أخرى وجدت نفسي في لندن، لكنها كانت لندن ما بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت الكثير والكثير..

هذه المرة كنت أتبع شبح (جوزيف) الذي يعمل كحارس لملجأ القلب المقدس، حيث جمعوا الأطفال الذين فقدوا ذويهم في الحرب، وهذه المرة كانت التفاصيل أكثر وأعقد من أن ألخصها هنا لكني سأحاول..

الملجأ تديره مسز (بارتريدج) قاسية القلب التي تعاني من الأساطير التي ينسجها الأطفال حول شبح واحد منهم يحمل اسم (بيتر بيشوب).. وهي ليست مجرد أساطير، فبسبب قسوة (بارتريدج) المفرطة تعمل إحدى الفتيات على إعادة (بيتر بيشوب) وهذا ما قد

يبدو ساذجًا في البداية، لكنهم حين يكتشفون اختفاء الفتاة (جيني) وجثة (بارتريدج) التي فقدت رأسها يدركون أنه عاد حقًا!

هكذا يصبح عليّ أن أتابع ما يحدث في الملجأ وما يفعله (جوزيف) الذي يقضي لياليه في المباريات غير المشروعة والتي يجمع أموالها لسبب غير مفهوم.. لذا تتوالى الأحداث في اتجاهين طيلة الوقت، فلا أعرفها كلها إلا بعد فوات الأوان للأسف..

دعني أذكرك بمن في الملجأ في سرعة أولاً.. لدينا مسز (بارترديج) التي يلتهم الأطفال جثتها بعد أن دسها أحدهم في ثلاجة اللحوم.. لدينا الطبيبة (مارثا) العجوز ذات الذاكرة الخرافية والتي يبدو أنها تعرف أكثر من اللازم إذ إنها تلقى مصرعها بأن ينتزع (بيتر بيشوب) ذراعها من جسدها.. ولدينا أربعة مشرفين هم (شميدت) العجوز الذي يملك خزينة أسرار يبدو أنه لن يفتحها أبدًا، و(كونتز) الشاب الذي لا يعرف سوى أن

(ميراندا) تعمل مع الألمان!

(ميراندا) هي المشرفة التي تحب الأطفال لكنها لا تملك لهم شيئًا مع ضعف شخصيتها المفرط، وهي التي يلقى القبض عليها في شقة ألماني بالفعل يبدو أنه ذو علاقة بما يحدث هنا، وهي على عكس (إيمانويل) التي لا تهتم بشيء مادامت سجائرها متوفرة..

لدينا أيضًا التوءم (مارك) و(بيرك) اللذان يعملان كطباخي الملجأ المرحين، واللذان توجه لهما تهمة قتل (بارتريدج) بعد أن انتهى بها الأمر في قدورهما تغلي، ليتلاشى مرحهما إلى الأبد..

(بارتريدج) و(مارثا) هلكتا وبهذا يتبقى لنا (شميدت) و(كونتز) و(ميراندا) و(إيمانويل) والتوءمان وبالطبع (جوزيف) الذي يقف الآن أمام غريمه (جاك) يستعد لملاقاة مصيره بعد أن تسبب في هزيمته بطريقة مخزية..

ما الذي ينقصنا أيضًا؟.. نعم.. عادت (جيني) وملابسها غارقة بالدماء لتعلن أنها أعادت (بيتر بيشوب) حقًا، وهكذا يرسل (فيسك) محقق (سكوتلانديارد) في إرسال صائد الأشباح الشهير (هاري برايس) ليساعده على حل غموض الأحداث الرهيبة التي يعاني منها ملجأ القلب المقدس، فهل يفعلها؟!

هذا هو أسوأ ملخص لما حدث والواقع أنه سيكون من الأفضل لو قرأت العدد السابق أولاً لتنعش ذاكرتك، فالأحداث لن تتوقف عند هذا الحد وما سيحدث هو..

(14)

حان الوقت لأعرفكم بـ (هاري برايس)...

نحن ننتظر وصول الرجل منذ فترة لذا فلا ضير لو أخبرتكم القليل عنه قبل أن نمضي في قصتنا..

ولد هاري برايس في لندن في السابع عشر من يناير عام 1881، وتلقى تعليمه هناك ليتخرج من كلية (Haberdashers' Aske's Hatcham)، وخلال دراسته بدأ في كتابة المسرحيات وساهم في تأسيس مجتمع كارلتون للدراما، وتركزت كتاباته في هذه المرحلة عن تجاربه مع الأشباح والبيوت المسكونة، قبل أن يقرر أن يجذب انتباه الصحافة له بأسلوب آخر..

ففجأة قرر هاري برايس أنه مهتم بعلم الموجات اللاسلكية، وقام بتأسيس محطة إرسال وطبق استقبال ما بين بروكلي وبين هاتشام، ليعلن أنه تمكن من التقاط

وبث الموجات اللاسلكية، وإن لم يقدم إثباتًا واحدًا يدعم اكتشافه، ليتهمه الكثيرون بالكذب والادعاء..

لكن هذا الادعاء منحه كمًّا لا بأس به من الشهرة، فأخذ يكتب سلسلة من المقالات في عدة صحف، تنوعت فيها مواضيعه حول اهتمامه بجمع العملات النادرة، والاكتشافات الأثرية، ليدعي بعد فترة أنه تمكن من العثور وامتلاك قطعة أثرية نادرة تخص آخر ملوك الرومان (هونريوس)، لكن حتى هذا الاكتشاف ثبت كذبه بعد فترة، والقطعة التي أعلن عن اكتشافها ثبت أنها مزيفة!

لكن كل هذا لم يبعده عن اهتمامه الأصلي بالسحر وعلوم ما رواء الطبيعة.. ففي طفولته رأى برايس عرضًا لأحد السحرة، ليعلن بعد ذلك أن هذا العرض السحري غير مجرى حياته تمامًا..

هكذا بدأ هوس برايس بعالم السحر فبدأ في تجميع الكتب التي تتحدث عن السحر عبر العصور حتى

أسس ما أسموه بعد ذلك بمكتبة هاري برايس، وركز في دراساته عن السحرة الهنود وقدرة بعضهم على السير حفاة على الجمر المشتعل، وعلى حيلة الحبل الشهيرة، والتي يقوم فيها الساحر الهندي بتثبيت حبل في الهواء من دون أن يربطه في شيء، قبل أن يبدأ في تسلقه..

لكن هذا الهوس لم يلبث أن تحول إلى هوس بعلوم ما وراء الطبيعة وبالبيوت المسكونة، فبدأ في زيارة أشهر المنازل والقصور المسكونة بالأشباح، وليثير الصحافة مرة أخرى، نشر صورة له مع شبح قام باصطياده على حد زعمه، وكان ذلك عام 1922..

وفي هذه الفترة نشر عدة كتب عن إنجازاته في عالم صيد الأشباح، نذكر منها The Haunting of Cashen's Gap و The Confessions of a Ghost-Hunter، مستغلاً شهرته التي تضاعفت على نحو مفرط في تلك الفترة..

ثم زار بعد ذلك منزل بورلي أشهر المنازل المسكونة في العالم كله، وقام بتأجير المنزل لعام كامل أخذ يفحص فيه المنزل، ويحاول تسجيل أي أصوات أو صور لهم، ليعلن للعالم في نهاية العام أنه تمكن من إثبات أن هذا المنزل مسكون بالفعل وأنه يملك أدلة مادية لإثبات هذا الزعم..

ثم كتب كتابًا شهيرًا عن تجربته في هذا المنزل تحت اسم The End of Borley Rectory ، قبل أن يعقبه بكتابي The Most Haunted House in England وPoltergeist Over England ..

وإلى جوار صولاته وجولاته في عالم الأشباح لم ينس برايس عشقه للدراما فساهم في تأسيس المؤسسة البريطانية للأفلام وكان أول رئيس لها، كما أسهم في تأسيس مجتمع أفلام شكسبير وأعاد تأسيس نادي الأشباح ليصبح واحدًا من أشهر أعضائه..

هذا هو أهم ما يجب أن تعرفه عن الرجل، أما عن

الذي سيفعله في ملجأ القلب المقدس، فهذا ما سيحدث في الصفحات القادمة (*)

وصل (هاري برايس) في صباح اليوم التالي حاملاً معداته ومذكراته التي يسجل فيها كل شيء، ومع وصوله تردد السؤال بقوة في أذهان الكل..

هل يمنحهم (هاري برايس) تفسيرًا لكل ما يحدث؟

هل؟!

* * *

هكذا وقف (هاري برايس) يتشمم الهواء بحثًا عن أشباح، فلم يجد..

قامته الفارعة وشعره القصير غزاه الشيب وانتصر منذ زمن.. وعيناه ما تزالان تحملان نظرة شاب اعتاد البحث عن الشهرة والعثور عليها.. واليوم

---

* كل ما ذكر عن الرجل حقيقي إلا ما يحدث في قصتنا هذه..

سيحصل على المزيد..

سأل (فيسك) بنبرات هادئة:

- والآن بعد أن لخصت لي كل ما حدث.. أين الفتاة (جيني)؟

فأجابه (فيسك) بإرهاق وهو الذي لم ينم طيلة الليل:

- في غيبوبة عميقة.. وضعتها في أحد الغرف ووضعت حراسة على باب الغرفة..

- يجب أن أفحصها..

- كيف؟.. إنها في غيبوبة وأنت لست طبيبًا..

فابتسم (هاري) بثقة، وأجاب:

- إنني لن أفحصها بحثًا عن مرض ما.. إنني سأفحصها لأتأكد أنها هي.. هي..

احتاج عقل (فيسك) المنهك بضع لحظات ليدرك ما

يعنيه، قبل أن يهزّ رأسه في استسلام، قائلاً:

- كما تشاء.. سآخذك إليها وأتعشم أن تمنحنا أجوبة..

وفي اللحظة التي قاده فيها إلى غرفة (جيني) كان (كونتز) مازال يرتجف كالقطط في غرفته، وقد وقف أمامه (شميدت) ينظر له في امتعاض، قائلاً:

- كف عن هذا.. ألم تر جثثًا من قبل؟.. لقد خرجنا من الحرب العالمية الثانية بحق السماء..

فأجابه (كونتز) هامسًا في انفعال:

- أنت لم تر النظرة في عينيها قبل أن تموت.. لقد كانت نظرة امتنان.. امتنان يا رجل..

عقد (شميدت) حاجبيه في ضيق ولم يجب.. فواصل (كونتز):

- أخبرتني أن (بيتر) هنا.. هو من فعل فيها هذا..

- وما الذي ستفعله إذن؟

فهبّ (كونتز) واقفًا، ليصيح:

- سأغادر.. اليوم سأغادر.. لن أظل هنا بعدما حدث..

- حقًا؟.. أوتظنهم سيسمحون لك بهذا؟.. كلنا سجناء هذا المكان إلى أن ينتهي ما يحدث..

- ماذا؟!

فربّت (شميدت) على كتفه، وقال في هدوء:

- إننا في الجحيم يا بني.. ولا أحد يخرج من الجحيم من دون أن يتذوق قطعة منه..

ثم غادر الغرفة تاركًا (كونتز) ذاهلاً مازال يرتجف هلعًا.. أما (إيمانويل) فكانت ترمق الأطفال الذين اكتظوا في قاعة الطعام وهي تدخن..

لا أحد يأكل ولا رغبة لأحد في طعام هذا الصباح..

عرفت الكثير وحتى مع عدم اهتمامها الفطري بما يحدث على الكوكب من حولها، لم تملك نفسها من التوتر فالتدخين فالتفكير فالمزيد من التوتر..

(مارثا) العجوز ماتت.. إنها لن تصدق القصة السخيفة عن رحيلها في قلب الليل.. و(ميراندا) قبضوا عليها لأنها تعمل مع الألمان.. والطفلة (جيني) عادت حاملة معها المزيد من الغموض..

ولا أحد يملك إجابة لأي سؤال، فقط سيستمر هذا الوضع إلى أن ينتهي فجأة كما بدأ فجأة.. كل ما تغير هو أنها ستقوم بعملها وعمل (ميراندا) إلا أن تثبت براءتها أو ينفذ فيها حكم الإعدام بتهمة التجسس!

الواقع أنها لو رأت (بيتر بيشوب) الآن لخنقته بيديها، فهو السبب في كل ما حدث ويحدث..

لكن أين هو (بيتر بيشوب)؟.. أين؟!

المزيد من السجائر.. المزيد من التوتر.. المزيد

من التفكير الذي لا طائل له..

وفي المطبخ كان (مارك) و(بيرك) يعملان لكنهما لم يغنيا كعادتهما..

نعم أطلقوا سراحهما لأنه لم يعد هناك مبرر لإبقائهما خاصة بعد أن دفعت (مارثا) ثمن براءتهما، لكنهما هنا رغم إرادتهما فالقضية لم تغلق بعد.. لهذا غلفهما الصمت بعباءته وهما يوزعان الطعام في أطباق ستعود كما هي بعد قليل، حتى قرر (مارك) أن يقول فجأة:

- لنهرب من هنا..

فأجابه (بيرك) في دهشة:

- ماذا تقول؟.. لماذا؟

- لم أعد أطيق البقاء هنا.. لنهرب ولنترك هذا كله إلى الأبد..

- لقد خرجنا من السجن لتونا، فلماذا تسعى إليه

مجددًا..

فانفجر (مارك):

- لأن السجن أفضل من هنا بمراحل.. لأنني لن أقضي حياتي أعمل في ملجأ يقتل من يعملون فيه بهذه الصورة.. لأنني لن أنتظر أن يقبض عليّ كلما أرادوا العثور على مشتبه فيه..

- لكن أنـ..

- أنت طهوت معي جسد (بارتريدج).. تلك الشمطاء تحولت إلى وجبة تغلي في قدرونا، ما الذي تنتظره أكثر من هذا؟..

بحث (بيرك) عن إجابة، فلم يجد.. فقط قال:

- وماذا عن الأطفال؟.. ما الذي سيحدث لهم؟

- لترحمهم السماء فنحن لا نملك لهم شيئًا..

وفي هذا كان محقًا.. فالأطفال كانوا ينتظرون

الأسوأ خاصة بعد أن رأوا (جيني) في الصورة التي عادت بها.. قبلها كان كل ما يحدث خاص بالكبار فحسب، وهذا كان يمنحهم نوعًا زائفًا من الاطمئنان لكنه كان يكفيهم.. أمّا الآن فكل شيء قابل للحدوث..

في البداية كان خوفهم من إغلاق الملجأ وما الذي سيحدث لهم بعدها، أما الآن فخوفهم مما سيحدث لهم داخل الملجأ!

وكانت الفتاة (لوريل) بالضمادة على أنفها، ترمق صديقتها (سارة) في ثبات، كأنها تنتظر منها شيئًا ما، لتصيح هذه الأخيرة بعصبية:

-ماذا؟.. أنا لا أعرف شيئًا..

فسألتها (لوريل) بصوتها المضحك نوعًا ما:

- ما الذي أصاب (جيني) إذن؟

- قلت لك لا أعرف.. إنها لم تخبرني شيئًا لم تخبرك به..

- ولا تعرفين حتى إلى أين ذهبت ولماذا اختفت طيلة هذه الفترة؟

- لا.. ولو كررت هذا السؤال سأعيد تهشيم أنفك..

صدمت (لوريل) بردها، ولاذت بالصمت لتسيل دموع الخوف والحيرة على وجهها، لتشعر (سارة) بالذنب.. هكذا أحاطتها بذراعها لتحتضنها، وهمست في أذنها:

- سامحيني.. أنا لا أعرف شيئًا ولا أفهم لماذا حدث ما حدث..

- أنا خائفة..

- وأنا أيضًا.. لكني أعدك ألا أترك مكروهًا يصيبك..

ثم غلبها التأثر فسالت دموعها هي أيضًا لتبلل

شعر (لوريل).. وفي أعماقها تساءلت ساخرة من نفسها، كيف ستحميها وهي عاجزة عن حماية نفسها؟؟

هكذا كان الوضع في الملجأ في ذلك الصباح الذي وصل فيه (هاري برايس) ليبحث عن (بيتر بيشوب)، فهل يجده؟!

أمّا الآن فنعد إلى الليلة الماضية لنجيب على السؤال الذي تنتظر إجابته..

ما الذي حدث لـ (جوزيف)؟

* * *

أنت لن تقتل رجلاً إلا تحت ظروف معينة..

أعرف أن هذا مؤسف وأنه لولا العاقبة لصار العالم أجمل بقليل، لكنك لن تقتل رجلاً إلا تحت ظروف معينة، ومن هذه الظروف هي أنه يبغي قتلك!

هنا يتحول الأمر إلى رهان واضح.. حياتك أو

حياته.. هنا يصبح القرار حتميًا ويتحول السؤال إلى: من سيبقى حيًّا؟

تذكر الآن أن جوزيف خرج لتوه من صراع قاس.. إنه مصاب والضمادات على جروح بطنه وكتفه مازالت دافئة بدمائه.. تذكر أنه بمفرده وأن أمامه غريمه (جاك) وثلاثة رجال يرتدون القبضات المعدنية على أيديهم، ويعتنقون فكرة قتله في رؤوسهم..

تذكر أيضًا أنهم أيرلنديون لا ينسون الإساءة ولا يغفرون بسهولة.. وحين يصابون بالغضب يتحولون إلى شياطين بشرية لا يوقفها إلا الدم..

ثم تذكر أخيرًا أن (جوزيف) فقد سلاحه!

هكذا يبدو أن الأمر قد انتهى قبل أن يبدأ، لكنك حين تقضي لياليك تقاتل من أجل حفنة من الجنيهات، لن تقبل أن يقتلوك بسهولة أبدًا..

يقول (جاك) وهو يشهر مخالب يده المعدنية:

- الليلة لن يمنعك عني أحد..

فينظر (جوزيف) لمن معه ولسان حاله يقول (لو كنت بمفردك لما تمتعت بهذا القدر من الشجاعة).. وهي رسالة يستقبلها (جاك) ليقول:

- اتل صلاتك الأخيرة يا رجل.. فالليلة ستموت..

لكن (جوزيف) لم ينتظر.. بل هجم!

ووقفت أنا أرمق ذاهلاً هذا الرجل الذي لم يتردد لحظة وهو يهجم على أربعة رجال مسلحين، بل إنني أقسم أنهم تراجعوا مدهوشين للحظة، قبل أن يردوا الهجوم لتبدأ المعركة..

أكره ألا أصف لك الصراع، لكني أكره أيضًا وصف ما حدث لـ (جوزيف) تفصيليًا.. نعم الرجل شجاع وذو خبرة، لكنه يواجه أربعة رجال والكثرة تغلب الشجاعة في كل زمان ومكان..

نعم.. هو هشم أنف (جاك) وأصاب عين واحد ممن

معه، لكنهم أعادوا تشكيل ملامحه وحطموا ضلعين من ضلوعه ومزق (جاك) من لحمه ما تمكن من تمزيقه، حتى انتهى به الأمر على ركبتيه ينزف وقد تورمت عيناه لدرجة أعجزته عن الرؤية بوضوح، وقد وقف (جاك) أمامه يمسك بأنفه غاضبًا، يصيح:

- كف عن المقاومة أيها الثور الأحمق..

ثم رفع يده ذات المخالب، مردفا ورجاله يقفون من ورائه ينزفون في كراهية:

- وتقبل مصيرك بلا مقاومة..

هنا كدت أتجسد فعليًا لأتدخل، لولا أنني أخذت أذكر نفسي طيلة الوقت أنني هنا طالبًا القصاص لا لتغيير الماضي، ثم إن دوي تلك الرصاصة غيّر كل شيء فجأة!

في اللحظة الأولى سمعنا كلنا دوي الرصاصة، وفي اللحظة الثانية خرجت الدماء من صدغ (جاك)

الذي بدت عليه الدهشة أكثر من الألم، قبل أن يهوي وسط رجاله الذين أصابهم الذعر وهم يلتفتون ليواجهوا فوهة مسدس الأنيق الذي وقف هادئًا يقول:

- عمتم مساءً أيها السادة..

ثم تردد صوت ثلاث رصاصات أخرى ليسقط الرجال الثلاثة من دون أن ينبسوا ببنت شفة.. فقط رمقهم (جوزيف) بعينين زائغتين، قبل أن يهوي جوارهم فاقد الوعي..

* * *

(15)

وحين استيقظ (جوزيف) وجد نفسه لأول مرة في حياته في منزل الأنيق ممددًا على فراشه الوثير..

كنت أقف أنا جوار فراشه من دون أن يشعر بي أحد، بينما جلس الأنيق قبالته، يحتسي الشراب، ويلقي بالأخشاب الجافة في المدفأة.. وحين أدرك (جوزيف) أين هو بدت عليه الدهشة، قبل أن ترسل جروحه الألم في أعصابه، فتأوه بقوة ليبتسم الأنيق قائلاً:

- لا تتحرك الآن.. لقد ضمدت جراحك لكنها ستعاود النزف لو تحركت..

هكذا عاد (جوزيف) يسترخي في الفراش، وإن سدد نظرة امتنان إلى الأنيق، استقبلها هذا الأخير بهدوء قائلاً:

- لا تقلق.. ما فعلته كان لي كما هو لك.. ثم إنني توقعته.. فمن هم مثل (جاك) لا يغفرون بسهولة..

هزّ (جوزيف) رأسه في صمت عاد ليغلف المكان، قبل أن يقول الأنيق شاردًا:

- أتعرف أنها المرة الأولى التي أحظى فيها بالصحبة في منزلي هذا؟.. لا عائلة لا أصدقاء.. حياتنا قاسية يا فتى وأنت في غنى عن أن أشرح لك هذا..

ثم إنه أشار إلى أثاث حجرته الفاخر، ليردف:

- كل قطعة هنا جمعتها بعناية فائقة.. كل قطعة هنا تستحق ثمنها وربما أكثر.. هذا هو ما تبقى لي يا (جوزيف) كومة من الأخشاب والفخار.. عدا هذا.. لا شيء.. حتى ذكرياتي فقدتها منذ أن بدأت هذا العمل.. لا أعرف إلا دائرة القتال وأموال المراهنين..!

أصغى له (جوزيف) بشبح ابتسامة على فمه، وقد بدا عليه أنه أول مرة يعرف فيها أي شيء عن الأنيق

العجوز الذي ينظم له مبارزاته.. لكنه كان يدرك جيدًا أنه لولا إسرافه في الشراب هذه الليلة لما كان بهذه الأريحية..

لكن لا.. لم يبتسم (جوزيف) لهذا السبب..

لابد أنه يبتسم لشكوى الأنيق أنه لا يملك ذكريات.. إنه يعتبره محظوظًا لا يدرك حظه.. فلـ (جوزيف) كمّ من الذكريات أكبر من أن ينساه مهما حاول هذا أو تمناه.. ثم يأتي الأنيق رائق البال ليخبره أنه لا يملك شيئًا..

رجل بلا ذكريات يشكو لرجل يهرب من ذاكرته.. وأنا بينهما أصغي وأتساءل..

من منهما الأكثر حظًا؟

من؟

* * *

نعود إلى أحداث الملجأ.. تلك الأحداث التي عرفتها

فيما بعد والتي تصل إليك أنت بالترتيب من باب الرفاهية..

والمشهد هذه المرة مسل ربما لأول مرة في هذا الملجأ منذ أن بدأت قصتنا.. فنحن الآن في غرفة الفتاة (جيني) التي رقدت ساكنة في غيبوبتها العميقة على الفراش، قد أخذ (هاري برايس) في تحسس الجدران حولها وهو يتظاهر أنه يصغي لشيء ما، قبل أن يخرج أنبوبًا مغلقًا من جيب معطفه.. فتحه وملأه بهواء الغرفة، قبل أن يغلقه في عناية ليعلن:

-هذا المكان غير طبيعي.. أشعر بتواجد ما..

فيردد (فيسك) من ورائه في حيرة:

- تواجد؟!

- نعم.. لكنني أكثر حكمة من أقفز إلى هذا الاستنتاج مباشرة.. يجب أن أبدأ فحوصاتي أولاً قبل أن أعلن عن أي نتيجة..

فيقول (فيسك) في سأم:

- خذ وقتك ولو احتجت لي سوف..

- لن أحتاج لك فلست خبيرًا مثلي.. فقط تأكد من أنني لن أتعرض لإزعاج.. آه.. وبعض القهوة المنعشة لن تضر، أليس كذلك؟

هكذا تحول المحقق (فيسك) إلى الساعي (فيسك) بمعجزة من معجزات (هاري برايس)، لكنه كان أضعف من أن يقاوم، فهزّ رأسه موافقًا واتجه للخروج من الغرفة، ليستوقفه (برايس) قائلاً:

- سأحتاج لعينات من الفتاة.. دماء.. لعاب.. خصلة شعر.. أتمانع في هذا؟

فأشار له (فيسك) بما معناه أن اقتلها لو أردت، وأسرع خارجًا قبل أن يفقد أعصابه، ليجد أحد رجاله في انتظاره يتساءل:

- أتوصل إلى شيء ما؟

- نعم.. يقول إن هناك تواجدًا!

- ماذا؟!

- لا تشغل بالك بهذه الأمور فأنت لست خبيرًا.. أخبرني.. أين (ميراندا)؟

فأجابه الرجل:

- جئنا بها إلى هنا كما طلبت..

- وماذا عن الألماني؟

- في غرفة منفصلة كما طلبت.. هل ستبدأ الاستجواب الآن أم ستحظى ببعض النوم أولاً؟

فرك (فيسك) عينيه في إرهاق، وهو يقول ساخرًا:

- نوم؟!.. لا نوم يا عزيزي حتى ينتهي هذا كله..

وصمت للحظة قبل أن يردف:

-لو كان لهذا نهاية!

* * *

وفي هذا الوقت بالذات كان (جونسون) الصغير يجوب ممرات الطابق الأول الخاوية، متجهًا إلى دورة المياه، ومثانته تعد عدها التنازلي قبل لحظة الانفجار..

لم يجرؤ (جونسون) على تناول العشاء ليلة الأمس بعد أن تذوق مسز (بارتريدج)، لذا اكتفى بشرب أكبر كمية من المياه، ليملأ بها معدته الصغيرة، وها هو الآن في طريقه للتخلص من هذا الحمل، لا يصاحبه سوى صوت خطواته على الأرض الباردة..

لم يكن هناك أحد هناك لحسن حظه، لذا أسرع داخلاً وأحكم إغلاق الباب وراءه، ثم بدأ ما أتى من أجله وهو يصفر في استمتاع..

على الجدران من حوله كتب رفاقه آراءهم في الحياة وفي الملجأ وفي مسز (بارتريدج).. تلك الآراء التي لو قرأتها هذه الأخيرة، لأجبرتهم على استخدام الفناء، لكنها لم تعد معهم في هذه الحياة.. الواقع أنه حتى في حياتها لم تكن تجرؤ على دخول دورة مياه

الفتيان، بل كانت تصفه بذلك المكان ذي الرائحة الشيطانية، والذي يثبت وجهة نظرها في أن كل الأطفال قذرون..

هكذا تحول هذا المكان -بفضل رائحته- إلى أرض الحرية التي يعلن فيها الكل رأيه في صراحة!

أهلاً بكم في الجحيم!

الموت لمسز بارتريدج البدينة!

المجد لبيتر بيشوب!

أسطر تلخص ما يحدث في ملجأ القلب المقدس بدقة مخيفة، كتبتها أيدٍ طفولية على جدران دورة المياه، ولن يفكر أحد في إعادة طلاء الجدران قريبًا، لتظل هذه الحقائق موجودة إلى الأبد..

هكذا انتهى (جونسون) ثم وقف يرمق الجدران مبتسمًا، قبل أن يقرر أنه لا بأس أن يضيف لها المزيد،

فأخرج قلمًا من جيب بنطاله الخلفي، وكتم أنفاسه ليبدأ في الكتابة، وقد توقف عن الصفير.. نعم.. توقف عن الصفير لكنه ظل يسمعه قادمًا من هنا..

من دورة المياه!

كان هذا أول ما انتبه له، فتوقف عن الكتابة وتلفت حوله في حيرة بحثًا عن مصدر الصفير من دون أن يجده..

- أيوجد أحد هنا؟

هكذا تساءل بصوته الطفولي، فتوقف الصفير على الفور.. وهكذا بدأت حيرته في التحول إلى خوف.. هكذا بدأت مثانته تتلوى من جديد على الرغم من أنه أفرغها لتوه..

تسمر في مكانه للحظات وهو يرهف السمع، ثم كرر:

- أيوجد أحد هنا؟

ومرة أخرى لم يجبه أحد.. والمشكلة أنه لم يكن هناك أحد أمامه.. المشكلة أنه لو أجابه أحد وهو يرى بنفسه أنه لا يوجد سواه في المكان، لمات هلعًا.. لكنه واثق أيضًا أنه سمع الصفير المنغوم قادمًا من هنا..

لذا قرر (جونسون) الصغير تجاهل نداء الطبيعة على أن يلبيه لاحقًا، واتجه إلى باب دورة المياه عازمًا على الخروج، ليجد أن الباب لا يفتح!

أدار المقبض فلم يفتح.. جذبه بقوة فلم يفتح.. صاح فيه حانقًا خائفًا، فلم يستجب..

والآن أدرك (جونسون) الصغير أنه حبيس هذا المكان.. أدرك هذا في اللحظة التي ارتفع فيها الصفير مجددًا!

كان الصفير يردد اللحن ذاته الذي كان ينشده، وكان قادمًا من حوله من دون أن يرى مصدره على التحديد، فلم تحتمل أعصابه أكثر من هذا، ليبدأ في ركل

باب دورة المياه صارخًا:

- *أخرجوووووني من هنا!!!!!!!...*

لكن دورة المياه برائحتها الشيطانية كانت أبعد من أن يسمعه أحد..

- *أخرجوووووووووووووووووونيييييييييييييي..*

يصرخ بها حتى يبح صوته، قبل أن يدرك أخيرًا أنه يضيع وقته، وأن السبيل الوحيد للخروج من هنا، هو أن تنادي الطبيعة أحدهم، ليأتي ويفتح الباب من الخارج..

سيكون عليه الانتظار واحتمال الرائحة، لكن المشكلة الحقيقية هي ذلك الصفير المنغوم الذي يتعالى من حوله وكأن.. وكأن..

وكأن صاحبه يقترب!

مثانته الآن تصرخ بعدّ تنازلي جديد... 10.. 9.. 8..

صوت الصفير يتعالى والجدران تردده في طنين مؤلم..

5... 6.. 7..

يحاول مع الباب مرة أخيرة من دون أن يشعر بدموعه التي بدأت تسيل على وجهه لفرط هلعه..

4.. 3.. 2..

اخرجوووووووووووووووووووووو..

1..

ويعود الصمت ليغلف المكان الذي كتب أحدهم على جدرانه ذات يوم ..

المجد لبيتر بيشوب !

* * *

(16)

وعلى عكس ما توقع (فيسك) كانت (ميراندا) ثابتة الجنان حقًا..

كانت تنظر له في ثبات وقد خلت نظراتها من أي إحساس بالذنب، وقد جلست أمامه معتدلة تنتظر أن يمطرها بأسئلته، فلم يبخل عليها بالبداية:

- أتعرفين عاقبة العمل مع الألمان يا آنسة (ميراندا)؟
- نعم أعرف..
- إذن.. أنت تعرفين ما ينتظرك؟
- لا.. فأنا لا أعمل مع الألمان..

فيبتسم (فيسك) ساخرًا وهو يفرك عينيه:

- حقًا.. حسبما أعرف رجالي عثروا عليك في شقة أحدهم..

فأجابته (ميراندا) في إصرار:

- أنا لا أعمل مع الألمان بالمعنى الذي تقصده..

رمقها (فيسك) في ثبات منتظرًا المزيد، ولما واصلت (ميراندا) صمتها، قال:

- آنسة (ميراندا).. نحن خرجنا من حرب مع الألمان مازلت ترين آثارها في كل مكان.. ثم حدثت جرائم في الملجأ الذي تعملين فيه.. ثم عثرنا عليك تتسللين إلى منزل ألماني.. صدقيني.. نحن لا نحتاج لأكثر من هذا لنوجه لك تهمة الخيانة ولننفذ حكم الإعدام ، لذا إما أن تتعاوني معنا وإما..

والمشكلة أنه كان محقًا فيما قاله، فأجابت (ميراندا):

-لست خائنة.. أنا أعمل كمترجمة للسيد (هانز)..

أساعده على ترجمة بعض الدراسات..

-لكنك زعمت أنك لا تعرفين الألمانية من قبل..

-كنت أكذب، لكني أخبرك الحقيقة الآن.. أنا أعمل كمترجمة فحسب..

- وما الذي كنت تترجمينه له بالضبط؟

بدا التردد على (ميراندا)، فقال (فيسك):

- لاحظي أننا قبضنا على السيد (هانز) وأن استجوابه لن يكون بهذا التفهم والبساطة، لذا أنصحك بقول الحقيقة..

حسمت (ميراندا) أمرها، وأجابت:

- أبحاث عن طقوس بعض القبائل الإفريقية..

- ماذا؟!

صاح بها (فيسك) بدهشة حقيقية، وأردف:

- وما الذي يفعله ألماني بأبحاث عن القبائل الإفريقية في لندن؟؟

عاد التردد واضحًا على (ميراندا)، حتى اقترح أحد رجال (فيست):

- ربما كانت شفرة يستخدمها للاتصال و..

فقاطعته (ميراندا) بسأم:

- لم تكن شفرة.. إنها الأبحاث التي بدأها هو و.. و..

- ومن؟!

- والسيد (جيمس بيشوب).. والد (بيتر بيشوب)..

- !!

* * *

وحين قرر (جوزيف) الرحيل أخيرًا، كان الأنيق يقف ليودعه وهو يكرر:

-مازلت أرى أنه يجب أن تمر على المستشفى أولاً.. جراحك قابلة للتلوث وما فعلته معها لا يكفي..

لكن (جوزيف) أخذ يهز رأسه بلا معنى، قبل أن يتحرك وأنا من خلفه أتساءل في حيرة عن قدرة احتمال هذا الرجل، والتي مكنته من مغادرة الفراش..

لكني كنت سعيدًا أننا سنعود إلى الملجأ أخيرًا، فصحيح أنني هنا من أجل (جوزيف) إلا أن أحداث الملجأ أشد إثارة من ألا أتابعها، وما حدث ليلة أمس – وهو ما عرفته متأخرًا كأغلب ما يحدث من حولي– أثبت هذا حقًا..

لم يحدث شيء في رحلة العودة لحسن الحظ.. وحتى الدخول إلى الملجأ كان هينًا، فلم يهتم أحد بخروج (جوزيف) ليعترض على عودته.. وحين انتهى

به الأمر أخيرًا على فراشه، قررت أن أستغل الوقت في معرفة ما فاتني لتتوالي عليّ المفاجآت..

(مارثا) ماتت.. (جيني) عادت.. (هاري برايس) هنا.. (بيتر بيشوب) مازال ينشر الهلع والتساؤلات وحتى الآن لا إجابة على أي شيء..

كنت قد قرأت سمعت عن (هاري برايس) من قبل، لذا لم أقاوم أن أجده هنا ولا أراقبه عن كثب، فاتجهت إلى غرفة (جيني) لأجدها في غيبوبتها، وإلى جوارها الوغد (هاري برايس) يمارس ألاعيبه..

أقول الوغد لأنه كان يجلس جوارها يدخن غليونه في هدوء تام، وهو يكتب في أوراقه التالي:

- أنا الآن أسيطر على مركز الطاقة في عقلها.. الأمر شاق ومجهد لكنها ليست مرتي الأولى.. يمكنني الآن أن أفهم لماذا حدث لها ما حدث.. فالطاقة أغلبها سلبية المصدر وبالقوة الكافية لفتح الثغرة بينها وبين

عالم الأرواح..

ثم يحتسي رشفة قهوة، ويواصل:

- سأعبر الآن عبر الثغرة وسأحاول الاتصال بالروح التي تسكن جسدها.. وسأعمل على طردها معرضًا حياتي للخطر من أجل هذه الفتاة المسكينة..

يتجشأ ثم يرمق خطه الأنيق على الأوراق في رضا، قبل أن يطويها ويدسها في حقيبته.. ينظر إلى ساعته في ملل، قبل أن يقول لنفسه:

- ربما لو أخذت جولة في المكان لاستيقظت من تلقاء نفسها..

ثم يخرج (هاري برايس) العظيم من الغرفة، وهو يأمر أحد رجال (فيسك) بعدم السماح لأحد بالدخول على (جيني) حتى ولو كان (فيسك) شخصيًا..

هذا هو إذن النصاب العجوز الذي سيمنحنا إجابات عن أسئلتنا!

قرر بدء جولته من الفناء، فجذبه المغناطيس الذي يجذب العجائز لبعضهم البعض إلى (شميدت) الذي جلس صامتًا يراقب الأطفال المنتشرين من حوله.. لذا اقترب منه بخطوات واثقة أكثر من اللازم، لتستقبله نظرة (شميدت) التي تقول (كف عن هذا العبث)، وصوته الهادئ يتساءل:

- أنت (هاري برايس) إذن؟

- هو أنا.. وأنت؟

- أحمق يعمل هنا.. والآن.. هل ستبدأ في استجوابي أنت الآخر؟

- ربما..

- ارفع صوتك فلم تعد أذناي تصغيان كما مضى.. لماذا لا تجلس؟

ففكر (هاري برايس) أنه لا مانع أن يجلس جوار أحد العامة طالما لن يراه أحد.. فقط أخرج منديله

الحريري أولاً ليجلس عليه، ثم أخذ يرمق (شميدت) بنظرة متفحصة دقيقة، أجبرت (شميدت) على الابتسام، وهو يقول:

- أأذكرك بشبح رأيته من قبل؟

فلم يبتسم (هاري)، بل قال:

- أنت تظن أنني أحمق وهذا حقك.. لن تكون أول من يفعلها.. لكني لست هنا لأثبت نفسي، بل لأساعدكم على حل هذا اللغز..

لوح (شميدت) بيده، وقال:

- ومن قال إننا نبحث عن الحل؟.. لقد أخبرتهم به وهم لا يصدقون.. الطفل (بيتر بيشوب) هنا وهو من يفعل هذا كله..

- هو من قتل مسز (بارتريدج) و(مارثا)؟ وهو من أشعل الحريق؟ وهو المسبب فيما أصاب الفتاة (جيني)؟؟. كيف؟!.. لا يوجد طفل طبيعي قادر على

شيء واحد مما قلت..

ابتسم (شميدت)، وقال:

- ومن قال إنه طفل طبيعي؟.. حسنًا.. لنقل إنه كان طبيعيًا ذات يوم، لكن ليس بعد ما فعلناه به..

شحذت كلماته اهتمام (هاري) الذي تساءل في اهتمام:

- ما الذي فعلتموه؟ ومن أنتم بالضبط؟؟

تساءل فمنحه (شميدت) نظرة طويلة صامتة، قبل ان يجيب أخيرًا:

- سأحكي لك كل شيء.. لا أحسب أنني سأخرج من الملجأ حيًّا، وأكره أن يموت السر معي.. لذا سأخبرك بكل شيء.. فقط عليك أن تعدني بشيء واحد أولا..

فقال (هاري) على الفور:

- أي شيء..

- عظيم.. سيكون عليك أن تتأكد من دفني خارج الملجأ في حالة وفاتي.. خارج لندن كلها.. اختر مكانًا لا يعرفه سواك ولا تخبر به أحد..

بدت الدهشة على (هاري)، ليبتسم (شميدت) مردفًا:

- الآن أنت من يظنني أحمق.. لكن لا بأس.. ربما لو حكيت لك لفهمت أكثر، لكن احذر.. هناك معرفة عليك أن تدفع ثمنها.. أنا دفعت الثمن ومازلت.. فهل أنت مستعد؟

* * *

(17)

ولولا صرخة (بيرك) لفهمنا كل شيء..

كان (شميدت) قد قرر أن يفتح خزينة أسراره أخيرًا، وكنا على بعد دقائق معدودة من فهم أي شيء مما يحدث هنا، لولا أن ارتفعت صرخة (بيرك) فجأة لتتردد في المكان بألف صدى..

هكذا هبّ (شميدت) واقفًا وهو يشير إلى المبنى صائحًا:

- إنه هنا.. هنا..

ثم أسرع و(هاري) من ورائه إلى الداخل، لأسبقهما أنا إلى المطبخ حيث تجمع رجال (فيسك) أمامه، واثنان منهما يكبلان حركة (بيرك) الذي واصل صراخه الحزين، وهو يحاول التملص منهما ليعود إلى

داخل المطبخ..

وتجاوزت أنا الجمع إلى الداخل لأجد ما توقعته ولم أتمنه..

كان (مارك) هناك.. كان مثبتًا إلى الجدار في وضع الوقوف وقد غرس أحدهم في جسده كل الأدوات الحادة الموجودة في المطبخ.. أسفل قدميه تجمعت دماؤه، وعلى وجهه كانت تلك النظرة الرهيبة.. نظرة من رأى وفهم بعد فوات الأوان!

هكذا يمكنك أن تتخيل ما حدث.. دخل (بيرك) إلى المطبخ ليرى نفسه يحدق في جثة توءمه ذاهلاً كأنه ينظر في مرآة المستقبل..

هكذا سيبدو لو مات هو.. هكذا فقد أخيه وصديقه الوحيد في المكان..

- ماااااااااااااااااااااااااااااااااارك...

ينتزع (بيرك) الكلمة أخيرًا من وسط صراخه، لكن

رجال (فيسك) لا يطلقون سراحه، بل يتراجعون به مفسحين الطريق لـ (فيسك) البائس، الذي تقدم من الجثة ونظرة حيرة مؤسفة تطل من عينيه..

- مااااااااااااااااااااااااااااااااااااارك!

لكن (مارك) لا يجيب.. لقد مات.. قتله (بيتر بيشوب)!

- ماااااااااااااااااااااااااااارك!

ثم يسقط (بيرك) فاقد الوعي أخيرًا ليرحمنا من صراخه.. وليتركه رجال (فيسك) أخيرًا..

يحاول بعض الأطفال الاقتراب والتساؤل واضح عليهم وإن كانوا يعرفون الإجابة سلفًا، فيشير (فيسك) لرجاله كي يبعدوهم.. ثم يقترب من (مارك) ويمد يده ليغلق له عينيه إلى الأبد..

وحين يصل (هاري برايس) أخيرًا، يتوقف جوار (فيسك) والصدمة واضحة عليه، وقد أدرك أخيرًا أن

عبثه لن يجدي هنا.. خاصة حين يشير (فيسك) إلى الجثة ليقول:

- والآن.. ألديك أي تفسير لما يحدث هنا؟

- !!

* * *

لكن السؤال ذاب في دوامة الغموض التي تعصف بالمكان.. لا إجابات في ملجأ القلب المقدس..

فقط يتساقط القتلى بلا سبب أو تفسير..

حتى (فيسك) أعلن أن إضرابه عن النوم لن يجدي الآن، فدخل إلى إحدى الغرف ليحظى بساعتين من النوم، تاركًا الألماني (هانز) في الغرفة التي سجنه فيها يمارس نشاطًا غريبًا حقًا..

لقد كان يكتب بدمه على الجدران!!

هشم طبقه الذي تركوا له فيه وجبه تمنعه من

الموت جوعًا، واستخدم أحد القطع ليجرح بطن كفه الأيسر، ثم وبدمائه بدأ يكتب كلمات غير مفهومة على الجدار.. كلمات لم أميز لغتها وأنا أقف معه في الغرفة، أراقبه في حيرة لم تفارقني منذ وصلت إلى هذا الزمن..

يبدو الأمر كأنها طقوس لتأمين المكان من شيء ما، لكن هل سيحتمل هذا العجوز فقدان كل هذه الدماء؟؟

أم أنه وإذ يعرض حياته لهذا الخطر يوفر على نفسه خطرًا أشد هولاً؟!

كالعادة.. لن أعرف الآن..

لذا فارقته واتجهت إلى غرفة (شميدت)، لأجده جالسًا والصدمة واضحة عليه، وقد وقف (هاري برايس) أمامه يتوسل:

- لقد وعدتك بتنفيذ مطلبك.. لماذا غيرت رأيك؟

- لأنه هنا.. هنا.. وربما في هذه الغرفة بالذات.. ربما يصغي لنا الآن..

- من هو؟

- (بيتر بيشوب) أيها الأحمق!

فتنتقل نظرة الصدمة إلى وجه (هاري)، الذي يفكر لبرهة قبل أن يعلن أخيرًا:

- إذن... سأظل في الملجأ لأواصل عملي، ولو غيرت رأيك ستجدني..

ثم يخرج من الغرفة من دون أن ينتظر ردًا، وأتبعه أنا منتظرًا خطوته التالية، ليفاجئني (هاري برايس) هذه المرة، إذ اتجه إلى أحد رجال (فيسك) ليقول:

- يجب أن نخرج الأطفال من هنا.. إننا نعرضهم للخطر..

فيجيبه الرجل:

- هذا ليس قراري.. يمكنك أن تسأل السيد (فيسك) حين يستيـ..

- لاوقت لهذا العبث.. أيقظه واطلب منه سرعة التحرك وإلا سأحمله المسؤولية كاملة..

- لقد أمرني بعدم إيقاظه مهما كان السبب..

يعلنها الرجل ببرود، فيكاد (هاري) ينقض عليه ليهشم عنقه، لكنه يتماسك ليبتعد لاعنًا في سره اليوم الذي قرر فيه ادعاء أنه صائد أشباح..

اتجه إلى غرفة (جيني) ليجدها في فراشها ساكنة تمامًا، فمال عليها ليتحسس رأسها، مغمغمًا لنفسه:

- أرجوك استيقظي.. أحتاج لبعض الإجابات وأتعشم أن تمنحيني بعضها..

ولما لم تمنحه ردًا لطلبه، جلس جوارها وأشعل غليونه وبدأ يفكر في عمق..

إنه لم يعتد على هذا كله.. القصة دائمًا مكررة.. منزل قديم تسمع فيه أصوات ويرى سكانه من يتحركون

في الظلام، ليتلاشوا عند أول مواجهة..

هنا يأتي هو ليتشمم الهواء في أداء تمثيلي محفوظ، ثم يبدأ في فحص المكان بأجهزته التي لا قيمة لها، وبعض عدة أيام يعلن أن المنزل مسكون وأنه يجب أن يهدموه بحثًا عن جثث مدفونة في جدرانه، لو عثروا عليها لزادت شهرته، ولو لم يعثروا لأعلن أنه طهّر المكان، وأنه صالح لإعادة البناء فالعيش فيه من جديد..

هكذا القصة دائمًا بلا مخاطر أو جثث أو دماء أو (بيتر بيشوب)!

أمّا هنا فالوضع مختلف تمامًا.. لن تجدي أجهزته ولا أداوه ولن يهدموا الملجأ فالجثث تملأ المكان من دون الحاجة للبحث في الجدران..

وهو لم يعد شابًا ليعرض نفسه لكل هذا الضغط العصبي والنفسي، لكنه لا يمكنه التراجع إلا لو..

-نعم.. وجدتها!

هكذا يصيح فجأة في ظفر، ثم يردف:

- سأخبرهم أنني في حاجة لمعدات أخرى غير متوافرة هنا.. سأسافر اليوم ولن أعود حتى ينتهي هذا كله..

وهي خطة سهلة حقًا تجبرني على الابتسام.. هكذا تعود الكرة إلى ملعب (فيسك) ولن يجرؤ أحد على لومه..

بسرعة أخذ (هاري) يجمع أوراقه، ويدسها في حقيبته، ثم ألقى نظرة أخيرة على (جيني) هامسًا:

- وداعًا يا صغيرتي..

ثم أسرع ليخرج من الغرفة و.. و..

وفجأة توقف كمن انتبه إلى شيء ما، ليعود إلى الغرفة.. ليضع حقيبته على الأرض.. ليتجه إلى (جيني)

وليبدأ في تفحص حركة صدرها مع التنفس..

لحظات ثم يبتسم ليهمس في أذنها:

- صغيرتي.. أنا أعرف أنك مستيقظة.. لذا توقفي عن التمثيل..

لحظات أخرى لا يحدث فيها شيء، ثم وببطء وبتردد تفتح (جيني) عينيها!!

وعلى ملامح وجهها الصغير يتبدى الرعب، وهي تقول:

- (بيتر).. لقد عاد.. لقد ساعدته على العودة..

!!

• • •

(18)

ومرة أخرى أضطر آسفًا لترك حدث مهم لآخر يبدو أكثر أهمية بالنسبة لمهمتي على الأقل..

ففي الفناء ارتفع صياح (كونتز) فجأة:

- اتركه يا (جوزيف).. أنت تقتله..

لذا وكما رأيت وجدتني أسرع إلى الفناء أمامي قرب غرفة (جوزيف) الذي أمسك بـ (بيرك) من تلابيب ملابسه، وقد تحول وجه هذا الأخير إلى كومة من الكدمات التي تنزف بلا توقف، بينما (جوزيف) يكوّر قبضته مرة أخرى ليدفنها في معدته، ليتلوى (بيرك) ألمًا، وقد وقف (كونتز) جوارهما يصرخ ملتاعًا من دون أن يجرؤ على التدخل..

يطوّح (بيرك) ساقه في محاولة للوصول لـ

(جوزيف) الذي يمسك بها في الهواء، ثم يهم أن يهوي عليها بمرفقه ليهشمها، لولا أن يرتفع نداء (فيسك) الآمر فجأة:

- توقف وإلا..

فتلتقي كل الأعين على المسدس الذي سدد إلى رأس (جوزيف)، ويتحول المشهد إلى كادر ثابت لا يتنفس فيه أحد..

- اتركه..

يقولها (فيسك) فيترك (جوزيف) ملابس (بيرك) الذي يهوي أرضًا ليشير له وهو يبكي بحرقة صارخًا:

- هو.. هو من قتل (مارك)..

تثير كلمته ذهول الجميع وغضب (جوزيف) الذي يكاد يهجم عليه ثانية، لولا أن صاح (فيسك):

- ماذا تقول؟

فيخرج (بيرك) من ملابسه قناع (جوزيف) المعدني وقد تلوث بدماء (مارك)، ليقول:

- عثرت على هذا.. هو من قتل أخي..

- ما هذا بالضبط؟

انفجر (كونتز) بغتة:

- لقد جُنّ الجميع هنا.. جُنّ الجميع..

اقترب (فيسك) من (بيرك) ليتناول منه القناع ولينظر إلى (جوزيف) في حيرة، ليردف (بيرك):

- رأيته يرتديه من قبل.. إنه له.. هو من قتل (مارك).. والآن سأقتله..

ثم ينقض فجأة على (جوزيف) بسكين مطبخ صغير، لكن (جوزيف) يركله في وجهه ليخرسه تمامًا، وليلقي به في غيبوبة عميقة، ثم يقف لينظر إلى (فيسك) في تحد وقد بدأت جراحه القديمة في النزيف،

ليتغلب هذا الأخير على ذهوله بصعوبة، قبل أن يعلن أخيرًا :

- إياك أن تتحرك .. أنت مقبوض عليك ..

* * *

هكذا سجنوا (جوزيف) في أحد الغرف ووضعوا حراسة على باب غرفته، بينما بدأ (فيسك) ورجاله في تفتيش غرفته، ليعثر على كومة من النقود ورسائل الأنيق وبعض الضمادات الملوثة بالدماء، والمزيد من الأسئلة التي جعلت (فيسك) ينفجر صارخًا في ثورة:

- ما الذي يحدث هنا؟.. حتى مستشفى الأمراض العقلية لا تحمل هذا الكم من المخابيل..

فيحاول أحد رجاله تهدئته:

- على الأقل عثرنا على القاتل..

- حقًا.. ولماذا قتل (مارك)؟ وهل هو قاتل (بارتريدج) و(مارثا) أم لا؟.. وما سر هذه النقود وهذا القناع؟ وما علاقة هذا كله بـ (بيتر بيشوب)؟؟ هه.. أخبرني..

فيجيب الرجل بتردد:

- لنستجوبه وسنـ..

ليقاطعه (فيسك) صارخًا:

- كيف سنستجوبه وهو أخرس أبكم أيها الأحمق؟!!

ثم يخرج من الغرفة وأتبعه أنا إلى داخل الملجأ ثم إلى المطبخ حيث جلس (بيرك) يضمد جراح وجهه، والذي ما إن رأى (فيسك) حتى هبّ واقفًا:

- هو من قتل أخي وهو الـ..

- اخرس.. لو نطقت بحرف من دون أن أسألك سأجعلك تلحق بأخيك اليوم.. اجلس..

فجلس (بيرك) على الفور بينما وقف أمامه (فيسك) ناظرًا إليه في صرامة، ليقول:

- أين عثرت على القناع بالضبط؟

- أسفل الموقد..

- وكيف عرفت أنها دماء أخيك التي تلوثه؟

فانتبه (بيرك) إلى هذه النقطة لأول مرة، وبدت الحيرة في عينيه، فلم يمهله (فيسك):

- ولماذا لم تأت لي أولاً؟

- لقد.. لقد قتل أخي..

- وكنت ستقتله؟

فبحث (بيرك) عن رد لائق، ولم يجد.. فقط أخذ ينظر إلى عيني (فيسك) المتقدتين بالغضب، حتى قال هذا الأخير:

- ستظل هنا ولن تتحرك من مكانك مهما كان

السبب.. أتفهمني؟

- نعم..

قالها ليستدير (فيسك) خارجًا من المكان ليلحق به رجله الذي قال:

- أرسلنا القناعِ إلى المعمل للتأكد من صاحب الدماء عليها..

- عظيم.. أين وضعتم (جوزيف)؟

- في إحدى الغرف في الطابق الأول.. لكن لماذا؟ ألم تقل إنك لن تستجوبه..

- اخرس واتبعني..

فتبعناه إلى حيث تركوا (جوزيف) مقيدًا إلى أحد المقاعد في غرفة محكمة الإغلاق، من دون أن يحاول أحد تضميد جراحه، ليقف (فيسك) أمامه قائلاً:

- أنت تجيد قراءة حركة الشفاه.. أليس كذلك؟

فنظر له (جوزيف) بغضب ولم يحاول الإجابة، ليواصل (فيسك):

- لا بأس.. لكنك تجيد القراءة بدليل الرسائل التي عثرت عليها في غرفتك، لذا سأكتب على ورقة وستهز أنت رأسك بالإيجاب أو النفي..

وجلس أمامه ليخرج دفترًا صغيرًا من جيبه كتب على أحد صفحاته:

-أنت قتلت (مارك)؟

ثم رفع الصفحة إلى عيني (جوزيف) الذي نظر لها لحظة بازدراء، ثم عاد ينظر إلى الأرض، ليصيح (فيسك) غاضبًا:

- نحن لا نلهو هنا..

ثم كتب:

-لو لم تساعدنا سأعتبر هذا اعترافا وسنوجه لك

تهمة القتل وسيتم إعدامك..

ورفع الصفحة إلى (جوزيف) ليقرأها، ثم كتب:

-هذا القناع ملكك.. أليس كذلك؟

فهزّ (جوزيف) رأسه أن نعم.. ليكتب (فيسك) وقد انتبه إلى شيء ما:

- أتجيد الكتابة؟

ليهزّ (جوزيف) رأسه بالإيجاب ثانية، فأشار (فيسك) إلى رجله قائلاً:

- عظيم.. امنحه ورقة وقلمًا وحرر أحد ذراعيه.. أريده أن يكتب لي قصة حياته كاملة حتى أعود.. كما أريد تفسيرًا للجروح التي تملأ جسده والتي لا علاقة لها بعمله هنا كما هو واضح.. أتفهم؟

- إلى أين ستذهب؟

- سأعمل على ألا يسقط المزيد من القتلى هنا..

وصمت لحظة ليسيطر على انفعالاته، قبل أن يردف:

-لو كان بإمكاني هذا..

* * *

وكان (كونتز) يردد على (إيمانويل) التي أخذت تدخن في برود:

-لقد سمعت عظام وجهه تتهشم.. لم أعرف أن (جوزيف) بهذه القوة من قبل.. لم أجرؤ حتى على إيقافه..

فتلوح (إيمانويل) بيدها من دون أن تجيب، ليواصل:

- الكل فقد عقله ولم أعد أفهم شيئًا.. فقط أريد الخروج من هنا بأي ثمن..

- يمكنك أن تحاول.. لكنك لو هربت سيعتبرون

هذا اعترافا منك أنك الفاعل..

- ولو ظللت سياتي دوري إن آجلاً أو عاجلاً.. لم أعد أطيق البقاء هنا..

نفثت (إيمانويل) الدخان من فمها إلى سماء الغرفة، وقالت:

- أين الأطفال؟.. لم أعتد هذا الهدوء هنا..

- سجنهم (فيسك) في غرفهم.. الكل ممنوع من التجول حتى ينتهي الأمر..

- ألم يعثروا على متهم مناسب؟

- تقصدين (جوزيف)؟.. لكنك تعرفين أنه ليس هو..

- من إذن؟.. شبح ذلك الطفل (بيتر)؟.. أتصدق هذه السخافات؟

- ألديك تفسير أفضل؟

- نعم.. (جوزيف)..

فكاد (كونتز) أن يجيب لولا أن ارتفعت طرقات هادئة على باب الغرفة، لترفع (إيمانويل) صوتها:

- ادخل.. إنه مفتوح..

ليدخل (هاري برايس) عليهما بقامته المديدة ونظراته الحادة، التي أجبرت (كونتز) على الوقوف متسائلاً:

- أتوصلت إلى شيء؟

- اسمح لي.. أريد أن أحدث الآنسة بمفردها..

- لماذا؟؟

يتساءل (كونتز) وتبدو الحيرة على (إيمانويل) التي تتوقف عن التدخين، لكن (هاري) يكرر:

- اسمح لي.. لن يطول الأمر..

فينظر (كونتز) إلى (إيمانويل) بتردد، قبل أن

يخرج من الغرفة، ليغلق (هاري) الباب من ورائه، وليشير إلى المقعد الخاوي، قائلاً:

- أتسمحين لي؟
- بالطبع..

فجلس (هاري) بهدوء متعمد، ثم نظر إلى عيني (إيمانويل) نظرة ذات تأثير درامي مفتعل، قبل أن يقول:

- آنستي.. يؤسفني أن أخبرك بما لدي، لكن الموقف لا يحتمل تأجيلاً..

وصحيح أن (إيمانويل) كانت من أنصار أن (هاري برايس) معتوه لا أكثر.. إلا أنه كلماته شحذت اهتمامها، لتتساءل في قلق:

-ماذا؟

-الفتاة (جيني).. إنها تحمل رسالة من ذلك الذي اسمه (بيتر بيشوب)... رسالة تخصك..

-تخصني أنا؟؟

فيمنحها (برايس) نظرة درامية مطوّلة قبل أن

يجيب أخيرًا:

- نعم.. يقول إنه دورك...

* * *

(19)

أعتقد أن وصف (إيمانويل) التي لا تبالي بشيء لم يعد يليق بها بعدما حدث..

بعد أن تلقت الخبر المشؤوم تحولت إلى (إيمانويل) المفزوعة المعرضة للإصابة بانهيار عصبي في أية لحظة، خاصة بعد أن حكت كل شيء لـ (فيسك) الذي أعلن:

- بالطبع لا يمكنني السماح لك بالمغادرة.. هذا غير قابل للنقاش أصلاً..

- لكنه دوري.. سيقتلني (بيتر بيشوب) لو ظللت هنا أكثر من هذا..

فأجاب (فيسك) في عصبية:

- أصغي لي جيدًا.. هناك قاتل في الملجأ لكنه

بشري من لحم ودم.. لو ظننت أن كل ما حدث سيقنعني بالهراء المتعلق بشبح طفل مات منذ عامين فأنت مخطئة.. ثم إنك ستكونين هنا تحت حراستي شخصيًا، ولن أدع أحدًا يقترب منك..

لتصرخ (إيمانويل) في ثورة:

- لماذا لم تمنع قتل (مارثا) و(مارك) مادمت قادرًا على هذا؟

ليصرخ (فيسك) هذه المرة:

- قلت لك لا خروج.. والآن عودي إلى غرفتك ولا تغادريها أبدًا..

- السجن أفضل من البقاء هنا.. سأعترف بكل شيء.. أنا من قتلت (بارتريدج) و(مارثا) و(مارك).. نعم.. هاأنا أعترف بخطئي.. والآن خذني إلى السجن..

- هكذا إذن..

- نعم..

فأشار (فيسك) إلى (إيمانويل) صائحًا في رجاله:

- اقبضوا عليها واسجنوها في غرفتها، ولو حاولت الهرب أطلقوا النار عليها بلا تردد..

- لكن..

- الآن..

- أنت مجنون!!

فأسرع رجال (فيسك) يكبلون حركة (إيمانويل) الغاضبة، ثم بدءوا يجرونها جرًا إلى غرفتها بينما وقف (فيسك) يتابع ما يحدث، حتى اختفت عن ناظريه، ليصيح:

- أريد (هاري برايس) أمامي حالاً..

فلم تمض دقيقة حتى كان يقف أمامه بهدوئه الدرامي، ليصرخ فيه (فيسك):

- لماذا لم تخبرني أن الفتاة استيقظت؟

- لأنها عادت إلى غيبوبتها على الفور.. والآن.. هل ستبدأ في إخلاء الملجأ؟

- لن يخرج أحد من هنا حتى ينتهي الأمر..

فهزّ (هاري) رأسه في أسف، وقال:

- لم تعد لكم حاجة لي إذن؟

ليجيبه (فيسك) في لهجة لا تقبل الجدل:

- قلت لن يرحل أحد، وهذا ينطبق عليك أيضًا..

ثم تركه وابتعد، ليقف (هاري) في مكانه مصدومًا، وهو يبحث عن رد يليق بهذا الموقف، لولا أن ظهر (شميدت) فجأة، والتوتر واضح عليه ليقول:

- يجب أن أرى (جيني).. الآن..

* * *

ثم جاء الدور على الألماني (هانز) ليبدأ (فيسك) في استجوابه..

جلس أمام (فيسك) وقد ربط جرح يده بمنديله، وقد بدا عليه الشحوب الشديد، ليبادره (فيسك):

- والآن لنبدأ بتلك الأشياء التي كتبتها على جدران غرفتك بدمك..

- ألهذا علاقة باتهامي بالتجسس؟

- لا.. لهذا علاقة برغبتي في قتلك الآن.. ستخبرني بكل شيء تعرفه أو سأقتلك الآن وأعلن أنك حاولت الفرار..

- أهكذا تعالجون أموركم أيها البريطانيون؟

- نعم.. لهذا لم نخسر الحرب ونكلل بالعار.. والآن.. هل ستبدأ أم..؟

قالها لتتلاقى أعينهما في نظرة تحدٍّ طويلة، قبل أن

يستسلم (هانز) أخيرًا:

- ما الذي تريد أن تعرفه بالضبط؟

- كل شيء..

فشردت عينا الألماني مستعيدًا ذكريات بعيدة، وبدأ:

- لا بأس.. سأخبرك بكل شيء..

* * *

"أين كنت يا جيني؟.."

يسأل (شميدت) ويصغي (هاري برايس)، وتجيب (جيني):

- كنت هنا.. في الملجأ..

- أين بالضبط؟

لتهز رأسها نفيًا في فزع، ولتجيب:

- لا يمكنني أن أخبرك.. سيقتلني لو فعلت..

- إنه هنا إذن.. توقعت هذا.. لا يهم أين هو الآن.. المهم ما فعلته طيلة فترة غيابك.. ما الذي فعلته يا جيني؟..

يسأل (شميدت) ويجلس (هاري) وتبكي (جيني).. تبكي بحرقة لتقول من وسط دموعها:

- لقد حطمت أنف (لوريل) أمامي.. حطمته تلك القاسية (بارتريدج).. لم أعد أحتمل أكثر.. كان يجب أن أفعل شيئًا..

- لهذا طلبت منه أن يقتلها؟

- طلبت منه التدخل.. أن يمنعها.. لم أعرف أنه سيقتلها..

- وطلب منك هو المقابل.. لابد أنه فعل.. أليس كذلك؟.. أنت من ساعدته على العودة..

فتنهمر المزيد من الدموع من عيني (جيني) وتتلوى في فراشها ألمًا:

- هو من اختارني حين كان حيًا.. هو الذي شرح لي كيف أساعده على العودة، لكني رفضت.. لم أكن لأفعلها لولا.. لولا..

- لولا أنك احتجت له.. مفهوم.. كيف فعلتها إذن؟

تجيبه (جيني) بالدموع والخوف المطل من عينيها، ليكرر (شميدت) بصرامة غاضبة:

- ما الذي طلبه منك يا جيني؟

وحاول (هاري) التدخل، قائلاً:

-رفقًا بها.. إنها فتاة صغيرة و..

ليشير له (شميدت) ليخرسه، قبل أن تلتقي عيناه الغاضبتان بعيني (جيني) الباكيتين، وليقول ببطء مخيف:

- أخبريني وإلا..

تنتزع (جيني) الإجابة من أسوأ كوابيسها وتقول:

- كل ما كان عليّ هو أن آتي له بطفل.. أي طفل ضال من المدينة.. كان عليّ أن أستدرجه إلى مقبرة المدينة..

- لكن جثمانه لم يعد هناك.. عرفت أن أحدهم نبش قبره..

- أحدهم أبدل مكانه فحسب، لكن ظل هناك.. ينتظر.. حتى أتيت أنا له بطفل صغير تبعني لأنني.. لأنني أخبرته أنني أمنحه الطعام..

- ثم؟!

- أرسلته إلى المقبرة ووقفت قربها أنتظر.. لم أكن أعرف ما الذي سيحدث بالضبط.. ثم.. ثم عاد الطفل.. لكنه لم يكن هو.. الطفل لم يعد كما كان.. لقد.. لقد أصبح (بيتر بيشوب)!!

- تعنين أنه انتقل إليه؟

- لا أعرف كيف؟ لكن.. نعم.. من عاد معي من

المقبرة هذه الليلة كان (بيتر بيشوب)..

- ثم؟.. ما الذي حدث بعدها؟

- طلب مني أن أحضرهم له.. أخبرني أنني سأجدهم في طرقات المدينة.. الكثير منهم.. أخبرني أن أحضرهم له..

- من هم؟!

- الأطفال.. أخبرني أنه في حاجة إلى الأطفال!

• • •

ويقول الألماني:

- حدث هذا قبل الحرب بسنوات.. لا تهم التواريخ بدقة، بل إن الدقة ذاتها لا تعني شيئًا فيما سأقوله الآن.. كل ما عليك هو أن تصغي لي بعدها سأترك لك مهمة التصديق.. كانت الرحلة إلى إفريقيا لدراسة حياة بعض القبائل هناك.. رحلة شاقة مملة لا يمكنك تحملها

إلا لو كانت حياتك تعتمد على مثل هذه الدراسات، ولحسن الحظ الجامعات هنا تدفع جيدًا لمن يقومون بمثل هذه الأشياء..

فيقول (فيسك) ساخرًا:

-بينما في ألمانيا تفرغتم للحرب وحققتم فيها نجاحًا باهرًا..

ليتجاهله الألماني، وليواصل:

-بل كانت ألمانيا تعاني الأمرّين بعد الحرب الأولى.. على أية حال كنا مجموعة مختلطة من العلماء من عدة دول، وكانت مهمتنا مراقبة طقوس بعض القبائل هناك والكتابة عنها، وهذا ما قمنا به بنشاط وأمانة.. وحين أوشكت رحلتنا على الانتهاء جمعنا أغراضنا واستعددنا للرحيل، لولا أن أصيب ذلك الطفل بمرض ما..

-أي طفل؟

- (بيتر).. (بيتر بيشوب) يا رجل.. أيوجد سواه؟.. لقد كان ابن (جيمس بيشوب) بالتبني، فهو لم يكن ينجب وكان في حاجة لمن يعينه ويعلمه ما يعرفه ليواصل من بعده.. وحين مرض أدركنا أنه أصيب بأحد أمراض الغابات التي لا علاج لها، وانتظرنا أن ينتهي أمره في هدوء، لولا أن قرر (جيمس) أن يجرّب ساحر القبيلة بعد أن يئس من كل أساليب العلاج التقليدية، علّه يملك حلاً.. بالطبع سخرنا منه وأخبرناه أن هؤلاء الجهلة لا يملكون سوى سحرهم الساذج وتقاليدهم التي لا تقترب من المنطق، لكنه كان مصرًّا.. هكذا حمل ابنه وذهب إلى الساحر..

- ثم؟

- ثم اختفى الاثنان لأسبوع كامل.. انتظرناهما حتى مللنا الانتظار، ويوم قررنا التخلي عنهما والعودة، عاد إلينا (جيمس) ومعه ابنه يسير على قدميه لندرك كم كنا حمقى..

-عالجه الساحر إذن؟..

فيبتسم الألماني في قسوة، ويجيب:

-لم يعالجه فحسب.. بل انتقل إليه..

- !!

* * *

وتواصل (جيني):

-أخبرني أنني سأجد العديد منهم.. بعد الحرب امتلأت شوارع لندن بالأطفال الذين فقدوا ذويهم، والملاجئ لن تسعهم جميعًا.. أخبرني أنني لو قلت لهم إن هناك مكانًا دافئًا فيه طعام، سيتبعونني على الفور وهذا ما حدث.. هذا ما فعلته من قبل وهذا ما كررته كثيرًا بعدها..

فيقول (شميدت):

- هذا هو المقابل إذن؟..

- نعم.. لكنني كنت أقودهم له فحسب.. لا أعرف ما الذي كان يحدث لهم بعد ذلك..

- حقًا؟.. لا تعرفين حقًا؟

فترتعش (جيني) في فراشها وقد بدا أنها على وشك الإصابة بصدمة عصبية:

- لقد أخبرني أنه في حاجة إليهم.. أنه سيمنحهم الخلود..

- الخلود؟!

- هذا ما قاله.. لهذا قررت أن أعرف.. أحضرت له طفلين عثرت عليهما قرب محطة القطار، وأخبرتهما بالمعتاد فتبعاني شاكرين.. وفي المكان المحدد تركتهما بعد أن دللتهما على الطريق، ثم انتظرت لفترة، قبل أن أتبعهما إلى الداخل.. صدقني لم أكن أعرف ما سيحدث لهما.. لم أكن أعرف أبدًا..

فيقول (شميدت) بهدوء:

- وما الذي حدث لهما يا (جيني)؟

- لقد كان ينتظرهما في نهاية الممر.. كان يقف هنالك مبتسمًا وهو يلوّح لهما حتى اقتربا منه.. ثم.. ثم..

- ثم ماذا؟؟

- ثم انقض عليهما فجأة..

* * *

صاح (فيسك) ذاهلاً:

- انتقل إليه؟

- نعم.. لم نعرف هذا إلا حين عدنا إلى السفينة.. لقد كان (بيتر) طفلاً عاديًا.. مملاً نوعًا ما لكنه طبيعي.. وحين عاد لاحظنا كم إنه صامت وغريب الأطوار.. كذلك كان (جيمس) لندرك أن هناك سرًا ما يخفيانه.. ثم حين عثرنا على جثث القطط أدركنا أن لحظة المواجهة قد حانت..

- جثث القطط؟.. ما الذي تعنيه؟

- لقد كان (بيتر) الطفل يتغذى عليهم.. ليس هذا فحسب.. لقد كان يتكلم بلغة غريبة وكان يردد أنه في حاجة إلى مزيد من الأطفال.. كان يقول إنهم سيساعدونه في تنفيذ مهمته..

فأشار له (فيسك) بالتوقف، وقال:

- مهلاً.. أتتوقع مني أن أصدق هذا كله؟

- أخبرتك أن التصديق مشكلتك لا مشكلتي.. على أية حال واجهنا (جيمس) بهذا كله، فأخبرنا أنه سيعود إلى لندن وأنه سيعيد الطفل إلى الملجأ.. أخبرنا أنه لن يشرح أكثر من هذا.. فقط طلب أن نراقبه جيدًا لو حدث له شيء ما..

- لماذا؟

- ما قاله بالتحديد كان.. لأنه سينفذ مهمته قريبًا وحين تحين اللحظة سنفهم كلنا كل شيء.. هذا ما قاله

وهذا ما أعرفه.. لهذا قررت الانتقال إلى هنا بعد موت (جيمس) الذي لم يكن طبيعيًّا بالمرة.. لهذا استعنت بـ (ميراندا) لتكون عيني في المكان.. لهذا أؤكد لك أنه لا علاقة لنا بالتجسس من قريب أو بعيد.. كما أنها مترجمة لا بأس بها و أنا احتجتها للترجم لي دراسات (جيمس) عن السحر الإفريقي .. ظننت أنني ساجد فيها تفسيرًا لما حدث ..

- لهذا رسمت تلك الرسوم بدمائك في الغرفة ؟

- ما هي إلا أحد تعاويذ الحماية التي تعلمتها .. لا أعرف إن كانت تجدي أم لا , لكنني لازلت حيًا حتى هذه اللحظة كما ترى ..

- وماذا عن حوادث القتل؟ كل من ماتوا هنا.. لماذا؟

- لا أعرف تحديدًا.. لكني أشعر.. بل إنني واثق أنها البداية.. البداية فحسب..

* * *

أمّا (جيني) فكانت تنتفض في فراشها فعليًّا، وهي تحكي:

- رأيته ينقض عليهما لتتناثر الدماء.. دماء كثيرة.. صرخت.. رآني أصرخ والتفت إليّ.. هربت.. أخذت أعدو عائدة إلى هنا.. لكنه رآني.. يعرف أنني أعرف.. إنه لن يتركني..

فتدخل (هاري برايس) هذه المرة بصرامة لا تقبل الجدل:

- سيد (شميدت).. هذا يكفي.. الفتاة لن تحتمل أكثر من هذا..

ليهز (شميدت) رأسه متفهمًا، وليقول:

- لا بأس.. لا بأس..

- والآن.. هل ستخبرني بما تعرفه أنت؟

فمنحه (شميدت) نظرة صامتة طويلة، قبل أن يجلس على حافة الفراش، مجيبًا:

-نعم.. أعتقد أن الوقت قد حان..

* * *

(20)

لكن (جوزيف) لم يكن ينوي البقاء..

حين يأتي من يتهمك بالقتل وأنت لم تفعلها.. حين تكون أصم أبكم عاجزًا عن الدفاع عن نفسك.. حين يتعلق هذا كله بشبح طفل كان اسمه (بيتر بيشوب) وكنت أنت تدرك جيدًا أنه ليس طبيعيًا، عندئذ تعرف أنها لحظة الهرب!

الحمقى أساءوا تقدير قوته حين تركوا ذراعه حرة ليكتب بها ما يعرفه، وهو لن يكتب لهم حرفًا فلا وقت ليضيعه.. حتى لو نجا من تهمة القتل، فالمبارزات غير المشروعة التي يقضي فيها لياليه تكفي لنقله إلى أحد سجون لندن الرطبة، حيث سيقضي ما تبقى له من عمر، وهو لن يقبل بهذا..

دعك من أنه لو ربط أحدهم بينه وبين مصرع

(جاك) ورفيقيه، سينتهي أمره هو والأنيق الذي ينظم له مبارياته متدليين من حبل المشنقة.. لهذا يجب أن يفعلها وأن يفعلها الآن..

يصف رجل (فيسك) الذي كان يحرس غرفته ما حدث بالتالي:

- كنت أقف في الخارج أدخن وأنتظر.. سمعت صوت الجلبة قادمًا من الداخل، فاستللت مسدسي، واقتحمت الغرفة على الفور، لكني لم أر شيئًا.. لم أجد الوقت لأفعل.. فقط أظلمت الدنيا فجأة واستيقظت لأجد رأسي تنزف ولأجد أن (جوزيف) قد اختفى.. أين ذهب؟.. لا أعرف.. لا أحد يعرف..

* * *

لكنهم عرفوا أنه مرّ على غرفة (ميراندا) قبل هربه..

باب غرفتها كان مهشمًا والحارس الذي كان يقف

عند بابها كان مهشم الفك، وكان لا يذكر ما حدث له بالضبط ليتأكدوا أنه (جوزيف)..

حين سألها (فيسك) عمّا حدث بالضبط، أخرجت له رزمة النقود، وقالت وهي تبكي:

- أعطاني هذا.. دائمًا ما كان يفعل..

- ولماذا منحك هذه النقود؟

- لأبتاع الحلوى للأطفال.. هذا ما طلبه مني وهذا ما كنت أفعله طيلة الوقت.. (جوزيف) هو من كان يعتني بالأطفال ويمنحني المال لأبتاع لهم ما يحتاجونه.. كان هذا سرنا.. لم يكن (بيتر بيشوب) هو الذي يحرس الأطفال.. بل كان (جوزيف)..

* * *

ثم جاء العثور على جثة (إيمانويل) ليقضي على البقية الباقية من أعصاب (فيسك)..

لقد أخبرهم (بيتر بيشوب) أن دورها هو التالي وهو لم يعتد الكذب..

نعم.. يمكنك أن تقول إنه شبح.. إنه إعادة تجسيد ساحر القبيلة الإفريقي.. إنه مجرد أسطورة أو كابوس حي يسير في ملجأ القلب المقدس.. يمكنك أن تقول ما تريده، لكنك لا يمكنك أن تصفه بالكذب أبدًا..

لهذا حين شعر الحارس على غرفة (إيمانويل) بتلك اللزوجة أسفل قدميه، نظر وهو يعرف ما سيجده.. لا شيء يتسلل من أسفل الباب وبهذه اللزوجة إلا لو كان دمًا..

فتح باب الغرفة على الفور وهو ينادي على كل من تذكر اسمهم، لكنهم كلهم وقفوا جواره يرمقون جثة (إيمانويل) الممزقة ذاهلين..

الكل يعرف أنها كانت بمفردها في الغرفة.. يعرفون أنها لم تنتحر بأن تمزق جسدها بهذه الصورة

البشعة.. يعرفون أن هذا كله غير طبيعي وأن له علاقة باسم يتردد برهبة في المكان.. لكن..

السؤال الحقيقي الآن هو.. لماذا يفعلها؟

لماذا يقتل (بيتر بيشوب) من في الملجأ؟

لماذا؟

* * *

(21)

- لأنه كان هنا منذ البداية.. قبل أن يبدأ كل شيء..

يقولها (شميدت) وهو يستعيد ذكريات لم ينسها قط، فيصغي (هاري برايس) من دون أن يقاطعه:

- (بيتر بيشوب) كان هنا قبل أن يتبناه (جيمس بيشوب).. قبل أن يسافر به وقبل أن يعيده ليخبرني أنه لم يعد طبيعيًا.. قبل أن يخبرني بما لم يخبر به أحدًا غيري..

كانت (جيني) تصغي وهي تبكي في صمت، وكان (هاري برايس) يكتب من ورائه مصغيًا في انتباه.. وكنت أنا معهما أصغي، فلم تكن هناك طريقة لأعثر بها على (جوزيف) الآن..

نعم.. ربما يكون في منزل الأنيق يختبئ، لكنني لن أترك هذا السيل من المعلومات الآن، وقد بت واثقًا من أنه سيؤدي إلى ما أعرفه منذ البداية..

يقول (شميدت):

- لم يكن (جيمس بيشوب) ينجب ولم تكن هذه مشكلة له أو لزوجته.. كان متفرغًا لدراساته وكان يعتبرها ابنه الذي ينمو كل يوم، حتى أدرك متأخرًا أنه سيموت ذات يوم وأنه لن يأتي من يكمل دراساته من بعده، لذا قرر التبني.. جاء إلى هنا طالبًا من يخلفه فكان (بيتر) من نصيبه..

- وكان (بيتر) طبيعيًا وقتها؟

- كان طفلاً هادئًا من الذين رأوا في سنوات عمرهم القليلة أكثر مما ينبغي لهم.. وحين رحل مع (جيمس) أدركت أنه قد يحظى بحياة أفضل بعيدًا عن جحيم مسز (بارتريدج) التي كانت تبقيه موقدًا بنشاط..

نسيت كل شيء عنه وعن (جيمس) حتى عاد به إلى لندن، ليزورني وليخبرني ما حدث بالضبط في تلك الرحلة المشؤومة إلى إفريقيا..

- وما الذي حدث بالضبط؟

- ما يعرفه الكل أن (بيتر) أصيب بمرض ما هناك وهذا متوقع.. لا أحد يزور إفريقيا ولا يصاب بمرض ما إلا لو كان محظوظًا.. وبالطبع لم يكن لهذا المرض علاج معروف، لذا جرّب معه (جيمس) كل علاج اكتشفه الطب، قبل أن يقرر أن ساحر القرية لن يضره أكثر مما هو عليه، فحمل (بيتر) وذهب إليه ليجد مفاجأة تنتظره.. ليجد أن ساحر القرية يخبره أنه كان في انتظاره منذ زمن طويل..

صاح (هاري) مدهوشًا:

- في انتظاره؟

- نعم.. أخبره أنه كان يجب أن يأتي وأن كل

شيء معد منذ البداية.. ثم طلب منه الانتظار بعيدًا والعودة حين يكتمل القمر ليستلم الطفل وقد استرد صحته.. وقوته..

- لا أفهم شيئًا..

- ولم يفهم (جيمس) أيضًا في ذلك الوقت.. لكنه نفذ ما طلبه الساحر وعاد حين اكتمل القمر ليجد (بيتر) وقد استرد صحته فعلاً.. استردها أكثر من اللازم..

- ما الذي تعنيه؟

- أعني أنه كان هناك في الساحة أمام منزل الساحر.. تحت ضوء القمر.. يأكل جثته.. (بيتر بيشوب) كان يلتهم جثة الساحر..

- !!

ويواصل (شميدت) وقد بدأ صوته يرتجف:

-هكذا وقف (جيمس) مصدومًا يحدق في الهول الذي يحدث أمامه، ليلتفت له (بيتر) الطفل الذي لم يعد كذلك.. حدّثه فأدرك (جيمس) أن الساحر هو من

يحدثه.. أخبره أن الجسد الجديد يروق له كثيرًا وأنه دوره الآن ليعيده إلى الملجأ، فهناك سينفذ باقي مهمته.. أخبره أنه هنا في ملجأ القلب المقدس سيعود الكاهن الأسود..

* * *

الآن أتى دوري لأفقد عقلي!

الكاهن الأسود؟.. لكن.. كيف؟!

ما الذي يحدث بالضبط؟!

* * *

لكن (فيسك) اتخذ أخيرًا القرار الذي كان يتوقعه البعض ويخشاه البعض ويتمناه الأغلبية..

لقد حان الوقت لإخلاء ملجأ القلب المقدس!

الواقع أن الوقت قد حان منذ البداية، لكن (فيسك)

لم يدرك عبث محاولاته إلا الآن، لذا أرسل إلى إداراته ليرسلوا له عربات الجيش اللازمة لنقل الأطفال.. سينقلوهم إلى أين؟.. لا يهم.. لو ألقوا بهم إلى شوارع لندن فسينتظرهم مصير أفضل بكثير من هنا..

ثم إن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد.. فحين استطاع (فيسك) أن يقنع (كونتز) بأن يتغلب على فزعه بمشقة، ليساعده في جمع الأطفال، اكتشفوا اختفاء البعض..

(ميري).. (سوير).. (جونسون) الصغير.. (بيث).. والسجلات تقول إن هناك ثلاثة آخرين لكن لا وقت لنعرف من بالتحديد..

هؤلاء اختفوا ومن اليسير التنبؤ بما حدث لهم، وهذا لن يغير من قرار (فيسك).. حتى حين حاول (بيرك) المقاومة معلنًا أنه لن يترك قاتل أخيه، أخبره (فيسك) أنه سيرسله له لو لم يطعه من دون مناقشة، فلم يملك (بيرك) سوى دموعه ليودّع بها توءمه إلى الأبد..

وبعد ثلاث ساعات وصلت العربات محملة بالجنود الذين عاونوا الأطفال على الركوب من دون أن يسألوا عن شيء.. مهمتهم إبعاد الأطفال عن المكان من دون أن يعرفوا السبب وهم لا يحتاجون لسبب لينفذوا الأوامر..

وبينما كان (هاري برايس) يجمع أوراقه التي سينشرها في كتاب سيضيف لشهرته الكثير، كان (شميدت) يقود (جيني) عبر الممرات إلى حيث سيأخذونها بعيدًا عن هنا.. وعند بوابة الملجأ توقف، ومال عليها ليقول:

- والآن.. يجب أن تخبريني أين (بيتر بيشوب).. يجب قبل فوات الأوان..

فتتسع عينا (جيني) في فزع، لكن (شميدت) يقول:

- أين هو يا (جيني)؟.. أين؟؟

لتجيبه (جيني) في النهاية:

- إنه هنا.. أسفل الأرض!

* * *

(22)

لكن جسدًا ما ينتصب واقفا فجأة وسط اللهيب، لتتجمد أفكاري كلها هلعًا..

ولسبب ما شعرت بصقيع!

أمام هذا الأتون الملتهب أشعر وكأنني مدفون في الثلوج!

أمّا هذا الذي وقف وسط النيران فمد يده تجاهي، وخرج صوته عميقًا مهيبًا يقول:

-نهايتك اقتربت..

يستوعب عقلي المعلومة ببطء.. إنه.. إنه..

إنه الكاهن الأسود..

- نهايتك باتت أقرب مما تتصور..

يقولها ثم يبتلعه اللهيب فجأة كأنه لم يكن.. وبالبساطة ذاتها يتلاشى الصقيع من حولي..

إنه الكاهن الأسود..

* * *

إذن فالكاهن الأسود وراء هذا كله..

كل ما حدث حتى الآن كان من تدبيره.. كل ما حدث وسيحدث..

هو من قتل (بارترديدج) و(مارثا) و(إيمانويل) و(مارك) والأطفال.. هو الذي كان ينتظر في إفريقيا وهو الذي سيتجسد هنا..

هو الذي أخبرني أن نهايتي قد اقتربت والذي أيقنت أنني سألاقيه ثانية ليحقق لي هذه الأمنية!

هو الذي يعرفه الكل هنا باسم (بيتر بيشوب)..

الآن يبدو كل شيء منطقيًا بصورة ما، والآن

أعرف لماذا قتل كل من قتلهم.. لقد كان يريد إخلاء الملجأ.. كان يريد العودة..

والليلة سيعود الكاهن الأسود الذي لا أعرف من هو لكني أعرف أنني سأواجهه..

الليلة سأواجهه..

* * *

لم يرحل (شميدت) مع من رحلوا..

لسبب ما فضل البقاء وخوض المواجهة معي..

ربما لأنه يريد أن يفهم.. لأنه يعرف أنه لو رحل الليلة، لقضى ما تبقى له من عمر يتساءل ويتذكر..

ربما لأنه أيقن أنه لا فائدة من الهرب!

هكذا ظل في غرفته حتى رحلت العربات محملة بمن كانوا هنا، قبل أن يرتدي معطفه ليبدأ في التجول في ممرات الملجأ.. إنه يعرف من أين سيبدأ وكذلك

أعرف أنا..

هكذا رددت جدران الملجأ صدى خطواته حتى بلغ المكان الذي وقفت فيه (مارثا) ليلة أمس تنادي على (بيتر بيشوب).. وأمام تلك الفجوة المظلمة في الجدار وقف أخيرًا، ليهمس إلى نفسه قائلاً:

- ها نحن سنلتقي يا عزيزي (بيتر)..

فلم يجبه الظلام، ليحني هو رأسه بتؤدة و.. و..

وليعبر الفجوة..

* * *

قادته الفجوة إلى ممر آخر مظلم.. ولسبب ما أدرك أنه لم يكن هناك حين عثروا على جثة (مارثا)، لكنه (بيتر) وقد سمح له بالدخول..

كانت البرودة غير طبيعية.. برودة أجبرت عظامه على الارتجاف.. برودة لا تنتمي إلى هذا العالم وشعرت

أنا بها من قبل، وهاأنا أشعر بها ثانية حتى وأنا في حالتي الشبحية، إذ أتبع (شميدت) إلى حيث يقودنا الممر المظلم..

انتهى الممر بدرجات صخرية تقود إلى الأسفل، فأخرج (شميدت) قداحته ليضيء الطريق أمامه، وبدأ في هبوط الدرج وقد سرت في جسده رجفة لم تكن البرودة سببها هذه المرة..

وحين بلغ نهاية الدرج بعد فترة ليست بالقصيرة، وقف يتشمم الهواء الرطب في هدوء، قبل أن يمضي متقدمًا في الممر الجديد الذي وجده.. الممر الذي سيقوده إلى الحقيقة..

أطفأت نسمة من الهواء البارد قداحته، لتظلم الدنيا من حوله، فوقف في مكانه وأخذ يحاول إشعالها مرة أخرى، حتى تحولت الشرارات إلى شعلة خافتة أعادت له الضوء والأمان..

في تلك اللحظة شعر بمن يتحرك خلفه، فانتفض جسده وهو يلتفت بسرعة، ليجد تلك اليد القاسية تقبض على معصمه فجأة.. وقبل أن ينفجر صارخًا ميّز وجه (جوزيف) على ضوء الشعلة وقد اتسعت عيناه في انفعال، ليصيح:

- (جوزيف)؟.. لقد كدت تقتلني..

لكن ذهوله تضاعف آلاف المرات، حين أجابه (جوزيف) قائلاً:

- سيد (شميدت).. إننا في الجحيم..

- !!!

* * *

ولم يكن ذهولي أقل من ذهول (شميدت) ولو بذرة..

فأمامنا وقف (جوزيف) وقد استرد سمعه ونطقه،

ليواصل بصوت مبحوح لفرط الإنفعال:

- هذا المكان.. إنه غير طبيعي..

ليقول (شميدت) منتزعًا نفسه من ذهوله:

- إنك تتحدث!

- يجب أن نخرج من هنا..

- ما الذي تفعله هنا؟

- لا وقت للشرح.. يجب أن نهرب.. هيا بنا..

ومن دون أن يمنح (شميدت) فرصة للرد، جذبه من معصمه وانطلق يعدو في الاتجاه المضاد، فتبعه (شميدت) مرغمًا، وهو يردد:

-ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

لكن سؤاله بدا سخيفًا حين انتهى الممر فجأة أمامهما من دون أن يظهر الدرج الذي يقود إلى الأعلى، ليتجمد (شميدت) ذاهلاً، ولينهار (جوزيف) على ركبتيه

مصدومًا، وهو يقول:

- إنها نهايتنا إذن..

وبينما أخذت أنا أستوعب حقيقة أننا أصبحنا سجناء هذا المكان، كان (شميدت) يردد بلا توقف:

-ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

* * *

وهكذا لم يعد أمامهما سوى العودة فتبعتهما وأنا أقاوم رغبتي في التجسد.. لو ظهرت لهما الآن سأخاطر بإصابة (شميدت) بنوبة قلبية، وربما أصيب (جوزيف) بالجنون ليدقّ عنقي من دون مناقشة..

يكفيهما ما هما فيه الآن ويكفيني أن أتبعهما وأصغي لهما. و(جوزيف) يقول:

- كنت أعرف أن هناك طابقًا أسفل الأرض.. كنت أعرف أنه موجود وأنه له مدخل في الفناء الخلفي لا

يعرفه أحد، فقررت الاختباء هنا حتى ينتهي الأمر.. أنا لم أقتل أحدًا يا سيد (شميدت)..

- أعرف.. كلنا يعرف هذا، لكنهم كانوا في حاجة لمشتبه به يصلح ككبش فداء..

- وصلت إلى هنا لتظلم الدنيا من حولي فجأة ولأفقد الوعي.. وحين استيقظت وجدت أنني استعدت قدرتي على السمع والتحدث.. لا أعرف كيف.. لكني أقسم أنني لم أكن أتمناهما الآن.. صدقني.. هنا لا أحب أن أسمع أو أنطق بحرف..

- إنها هدية (بيتر بيشوب) لك يا رجل..

- هدية؟.. لكن لماذا؟.. أتظن أنه؟؟

- يعرف.. بالتأكيد.. لهذا نحن بالذات هنا..

- وما الذي سيحدث لنا إذن؟

- سنعرف حالاً يا عزيزي.. سنعرف حالاً..

* * *

(23)

وفي نهاية الممر انتظرتنا تلك القاعة..

الجدران الصخرية التي علقت فيها المشاعل التي لم تنجح نيرانها في التخفيف من برودة المكان المخيفة.. في منتصف القاعة تمامًا كانت الرموز العجيبة التي رسمت على الأرض على شكل دائرة بدت مألوفة لي لأتذكر أنها تشبه تلك الرموز التي رسمتها أسفل مقعد الانتقال في منزلي.. ووسط الدائرة كانت المرآة.. وأمام المرآة جلس هو..

(بيتر بيشوب)..

رأيته لأول مرة لأشعر بالحيرة.. هذه الملامح الطفولية الهادئة.. هذا الشعر الناعم والعينان الواسعتان الجميلتان.. هذا الجسد الضئيل النحيف بصورة غير طبيعية..

هذا هو مصدر كل ما حدث في ملجأ القلب المقدس..

وتوقف (شميدت) و(جوزيف) عند مدخل القاعة يرمقانها في ذهول، ثم تلاقت أعينهما بعيني (بيتر) الذي ابتسم ليقول بصوت لا يمت لعالم الأطفال بصلة:

-مرحبًا بكما.. أو لأكون أكثر وضوحًا.. مرحبًا بكم..

ثم إنه التفت لينظر لي مباشرة! ..

إنه يراني!!

وببساطة أردف (بيتر):

-يمكنك أن تظهر نفسك فلا داعي لإضاعة الوقت..

ليقول (شميدت) في حيرة:

- ما الذي تقصده؟

لكني أجبته بأن أخذت أتجسد في بطء أمامهما،

ليتراجع هو و(جوزيف) ذاهلين، حتى أتممت تجسدي، لأقول:

- من الصعب أن أشرح لكما من أنا، لكني هنا لأنقذكما..

قلتها فتعالت ضحكة (بيتر) المخيفة في المكان ورددتها جدران القاعة، حتى توقف ليقول أخيرًا بسخرية:

- تنقذهما.. يا لك من ساذج.. إنهما هنا ليدفعا الثمن..

وأشار بيده إلى (شميدت) ليقول:

-أنت من فعلها.. أنت من أشعل فيّ النار في تلك الليلة.. أنت من حاول التخلص مني..

فارتجف (شميدت) رغمًا عنه، وقال:

-كان يجب أن أحاول.. أن أحاول إيقافك..

لكن (بيتر) تجاهله وأشار إلى (جوزيف) مردفًا:

- وأنت عرفت.. أنت الوحيد الذي شاركه سره، لكنك صمت.. نصبت نفسك حاميًا لهذا الملجأ وصمت.. والآن يأتي وقت حسابكما..

وقبل أن أتحرك من مكاني تحرك هو..

لحظة واحدة.. استغرق الأمر منه لحظة واحدة، قبل أن يسقط (شميدت) و(جوزيف) أرضًا يمسكان بعنقيهما، محاولين إيقاف النزيف وهما ينتفضان انتفاضتهما الأخيرة..

لحظة واحدة عاد بعدها (بيتر) مكانه بينما قال (جوزيف) بصوت متحشرج:

- لكن.. لكن..

لكنه لم يكمل جملته هذه أبدًا.. انتفض مرة أخيرة

ثم سكن جسده تمامًا لتتسع بركة دمائه من أسفله ولتمتزج بدماء (شميدت) الذي لم يجد الوقت لينطق بحرف..

- لا تشغل بالك الآن بإنقاذهما، فهو يريدك أنت..

قالها (بيتر) بينما وقفت في مكاني مصدومًا عاجزًا عن استيعاب ما حدث، ليبدأ هو في تلاوة تعاويذ ما بلغة لا أعرفها ولم أسمعها من قبل..

هكذا مات (جوزيف) أمامي من دون أن أجد حتى الفرصة لمنع هذا..

صحيح أنني لست هنا لأغير الماضي، لكني لم أتوقع أن يتم الأمر بهذه السرعة.. بهذه القسوة..

ثم إنه يريدني أنا !.. من هو؟.. الكاهن الأسود طبعًا!

يعلو صوت (بيتر بيشوب) بالتعاويذ لتزداد برودة المكان بصورة أجبرت جسدي على الارتجاف، فصحت

بأعلى صوتي:

- توقف..

لكنه لم يتوقف.. علا صوته أكثر وازدادت البرودة أكثر وأكثر..

وأشار بيده فجأة لتطير جثتا (شميدت) و(جوزيف) إلى المرآة ليعبراها إلى حيث سطع ضوء عجيب وكأنما تعلن المرآة عن رضاها، قبل أن يخبو الضوء مرة أخرى، ليظهر الاثنان في المرآة لكنهما لم يكونا بمفردهما..

في المرآة رأيتهما يقفان إلى جوار الأطفال إلى جوار (مارثا) ومسز (بارترديج) و(مارك) و(إيمانويل) و(جيمس بيشوب)، وقد سددوا كلهم أعينهم تجاهي في نظرة اتهام صامتة..

كلهم أدركوا ما أدركته الآن متأخرًا جدًا.. كلهم هنا لأنهم كانوا مجرد وسيلة لأكون أنا هنا لحظة عودته..

لحظة عودة الكاهن الأسود..

يرتفع صوت (بيتر) بالتعاويذ وتتحول البرودة في المكان إلى صقيع بدأ يجمدني مكاني، فصحت وأنا أنقض عليه:

- *توقاااااااااااااااااااااااااف..*

لكن دائرة من النيران ظهرت فجأة حول (بيتر) لتجبرني على التوقف، وعلى شفتيه رأيت تلك الابتسامة، وهو يردد آخر كلمات تعويذته العجيبة، قبل أن يتوقف أخيرًا..

سقطت على ركبتي وأنا أرتجف من الصقيع المتزايد حولي، فوقف هو ببطء، ثم نظر لي مباشرة ليقول:

- جدك هو من بدأ هذا كله.. والآن ستدفع الثمن..

قالها فلم أقو على الإجابة.. امتزج ألمي بحيرتي ليشلا لساني وقدرتي على التفكير..

أمّا هو فاستدار ببطء شديد، ثم اتجه إلى المرآة ليعبرها لتومض مرة أخرى بالضوء العجيب ذاته، الذي لم يخبُ هذه المرة..

جدي هو من بدأ هذا كله!.. ما الذي يقصده؟

ما الذي فعله جدي بالضبط؟!

من حولي تضاعفت البرودة حتى ازرقت أناملي، وتوقف جسدي عن الارتجاف، وقد أدركت عضلاتي عبث محاولات بث الدفء في جسدي، وشعرت بوعيي وقد بدأ يغيب عني، بينما تضاعف الوميض الخارج من المرآة ألف مرة على الأقل ليضيء المكان كله، ومن وسط الوميض رأيت ذلك الجسد القادم من بعيد..

من بعيييييييد!

الجسد ذاته الذي رأيته وسط النيران في عصر الملك (تشارلز).. الجسد ذاته الذي وقف ليعلن لي ذات يوم أن نهايتي قد اقتربت..

حاولت النطق بشيء ما، لكني عجزت عن تحريك لساني.. فقط أخذت أرمق الجسد الذي أخذ يقترب ببطء واثق تجاهي، وفي عقلي تردد الصوت الرهيب ذاته قائلاً:

- ها نحن نلتقي مرة أخرى..

يجب أن أفعل شيئًا ما.. يجب.. يجب أن أتحرك..

- لا تحاول.. لقد حانت نهايتك..

يقترب أكثر وأكثر ويتحول الصقيع إلى كيان مادي يجثم على جسدي من كل اتجاه ليجبرني على السقوط أرضًا عاجزًا عن الحركة..

- سينتهي كل شيء الآن.. لا تقاوم..

لهذا حدث كل شيء.. لهذا زارني شبح (جوزيف).. ليأتي بي إلى هذا الزمن.. لأشهد لحظة عودته..

لتكون نهايتي!

كل هذا لأن جدي -الذي منحني لعنته قبل أن يموت- فعل شيئًا ما لا أعرفه..

كل هذا سينتهي الآن من دون أن أفهم..

- كل هذا يجب أن يتوقف الآن!

هكذا صحت وقد منحني غضبي بعض الطاقة، لأتحرك أخيرًا معتدلاً وليقترب الجسد في المرآة بسرعة أكبر، حتى بات على قيد لحظات من العبور، لكني التقطت حجرًا من الأرض، وبكل قوتي قذفته في اتجاه المرآة في اللحظة التي قفز فيها الجسد تجاهي و.. و..

سمعت صوت التهشم.. انفجر الضوء من حولي وانفجر الصراخ في عقلي.. شعرت بالشظايا الزجاجية تطير في وجهي، ثم.. ثم..

ثم أظلمت الدنيا فجأة..

وانتهى كل شيء!

• • •

(24)

وحين استيقظت كنت مازلت هناك..

كنت في القاعة لكنه لم يكن معي.. فقط كنت أنا وشظايا الزجاج والبرودة التي أخذت تقل تدريجيًا.. و.. و..

والجثث.. الكثير من الجثث تناثرت في كل مكان ولا داع لأذكرك بأصحابها.. لا تنس أن بينهم أطفالاً!

من إطار المرآة التي لم تعد كذلك، تصاعدت الأدخنة لترقص رقصتها الأخيرة في الهواء قبل أن تتلاشى معلنة أنني نجحت في إيقافه..

الكاهن الأسود لم يعبر!

فقط تحركت تلك القطة السوداء بين الشظايا الزجاجية، ثم أسرعت مبتعدة ليبتلعها الظلام.. أمّا أنا

فلم أتمكن من الحركة إلا بعدها بفترة..

إذن نهايتي لم تحن بعد.. لكنها نهاية هذا الملجأ..

النهاية التي سأضعها بيدي لأنهي هذه القصة إلى الأبد..

* * *

حين عرف (فيسك) لاحقًا بالحريق الذي التهم الملجأ في تلك الليلة، لم يشعر سوى بالخلاص..

لم يرهق نفسه في محاولة البحث عن فاعل، فما حدث كان أشبه بهدية من السماء له عليه أن يكون ممتنًا لها فحسب..

هكذا ينتهي التحقيق.. هكذا سيبحثون عن مكان آخر يصلح كملجأ للأطفال.. هكذا يمكنه أن ينسى ذلك الاسم الذي أرقه طويلاً..

اسم (بيتر بيشوب)..

فقط عثروا على تلك القاعة أسفل الأرض وعلى الجثث المتفحمة فيها، فدفنوها هناك من دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض أو التساؤل.. ربما يكونون قد عثروا أيضًا على ما تبقى من المرآة لكنهم لن يفهموا سرها أبدًا..

كل ما يتعلق بالكاهن الأسود لا يخصهما في شيء، لكنه سيطاردني أنا طويلاً وهذا ما عرفته لاحقًا.. نعم أنا منعته من العبور، لكنني لم أقض عليه..

فيما بعد سأعرف أكثر عنه.. عن مفاتيح الزمن.. عن الزمن الذي أتى منه وعن أزمنة لم يذكرها التاريخ، لكن جدي عاشها وتركها لي مع لعنته التي لن أفهم سرها الآن..

سأعرف أن الألماني كذب حين ادعى أن تلك الرموز التي رسمها بدمائه كانت لحمايته .. أنه الآن سيواصل شيئًا ما بدأه منذ فترة .. شيء سيتسبب في الكثير و الكثير ..

فيما بعد سأعرف أكثر، أمّا الآن..

فحان وقت العودة..

• • •

خاتمة

حين عدت كانت وحدتي في انتظاري كما هي لم يمسسها سوء..

غرفتي والمرآة أمامي والمقعد أسفلي أسفله النقوش، وحوله زمننا الحالي الذي أحيا فيه في ظلام لا ينتهي..

فقط كان رنين جرس هاتف منزلي يدوي بلا انقطاع، لذا تحاملت على نفسي وخرجت من غرفة الانتقال إلى الردهة لأتحسس طريقي إلى حيث واصل الهاتف رنينه لأريحه من عذابه، ولأضع السماعة الباردة على أذني، فيأتيني صوت مألوف يقول بانفعال لم أعتده منه:

- (نادر).. أنا (داليا)..

قالتها فشعرت بتلك الغصة التي يشعر بها أي رجل يسمع صوت مطلقته، وقلت:

- أهلاً يا (داليا).. هل كل..

فتقاطعني هي على الفور:

- (أسامة) يا (نادر).. ابننا (أسامة).. لقد بدأ يراهم..

هنا انتفضت في مكاني وقد أدركت ما تعنيه على الفور، لكنني قلت:

- ما الذي تعنيه؟!

- الموتى.. ابنك بدأ يرى الموتى!

- !!!

* * *

العدد القادم:

أشياء في الكاترار